ظلال دموية

"حتى لا تقع في الفخ"

رواية

مكاريوس عطيتو

حقوق الملكية الفكرية

إهداء

إلى أمي وأبي

اللذان أعطوني كل شيء حتى أصل للنجاح

لأشقائي واصدقائي وعائلتي ..

لكل شخص ساندني حتى أنتهي من عملي الأول ..

إليكم مجرد كتاب ..

بعد أن اهديتموني الحب والمساندة والتشجيع والاهتمام

لكم مني كل الحب والإمتنان.

ما قبل البداية

الأجواء غائمة , رياح غير عادية تجتاح المدينة , كآبة الشتاء تجعلك تفكر أكثر من مرة في الوقوع في الحب مع هذا الفصل المليء بالكآبة , الأمطار مثل تسونامي مصغر في هذا التوقيت ، ورغم ذلك فإن الاسكندرية تشتهر بهذه الأجواء مما يجعل محبي الشتاء كأنهم في النعيم والجنة , عزيزى لا تأخذك مخيلتك بعيدًا لأن محدثك الآن من عاشقي فصل الصيف ولكن ما حدث جعلني اعشق فصل الشتاء , ستسأل نفسك الآن لماذا وجهتي تغيرت من هذا لذاك ؟ , لا تتسرع يا عزيزي فإجابتك ستصلك في الوقت المناسب , الآن تبدأ حافلتنا في التحرك نحو بضعة محطات ستجعل عقلك يتوقف عن التفكير وستكثر أسئلتك , لماذا يقف المقدم طارق مذهولًا

من المنظر الذي امامه , ولماذا يقف هذا الرجل ذو اللحية السوداء الكثيفة ممسكًا في يده اليمنى قناع أسود غريب و في يده اليسرى يمسك بسلاح ناري ووجهه ممتلئ بالغضب ؟ و من الذين يطلقون وابل من الرصاص تجاه هذا المنزل ؟ , جميعها اسئلة ستجعل عقلك يتوقف تمامًا , ولا تسأل ما هذا الذي يحدث ؟ , عليك فقط الالتزام بالقواعد حتى لا تقع في الفخ , أود تحذيرك بأن مصيرك الآن بين يديك ستعيش في هذه القصة وكأنك انت الذي تتكلم وتفعل وتتحرك وليس شخصيات من وحي الخيال , ستري نفسك في قلب الحدث , مرحبًا بك .

***

الفصل الأول

إكتشاف غامض

2010 م ..

الاسكندرية

استيقظ ووجد نفسه مقيدًا في كرسي حديدي وبجانبه صديقه مقيدًا كذلك , وقف أمامهم رجل طويل القامة يعطي لهما ظهره وكان يمسك بشيء ما ويستكشفه , ثم نظر لهما وابتسم , ثم أدار ظهره مرة أخرى وهو يلتقط شيئين جعل الرعب يزداد داخل قلوبهم .

امسك في يده اليمنى مسدس وفي اليد اليسرى كان يمسك بسكين غريب الشكل لا تجده إلا في محل الجزار .

- **كل سلاح من دول الألم بتاعه أصعب من التانى , واحد منكم هيدوق ألم الرصاصة , والتاني هيدوق ألم السكينة .**

ظهر الرعب على وجه كليهما وهم ينظرون لبعضهما ثم ضحك بعدما رأي ردود الفعل على وجوههم بعد ما قاله .

- أنا بتبسط جدًا لما بشوف الضحية اللي قدامي وكأنه ملاك معملش أى حاجه , كأنه نبي !

ثم بدأ وجهه يتحول للغضب .

- إنتوا عارفين إن نص تعاستي في الدنيا دي انتم السبب فيها ؟

رد أحدهم بسرعة وهو يلصق التهمة بالأخر .

- هو اللي نفذ وخطط أنا مليش دعوه صدقني .

عاد الرجل يضحك مرة أخرى .

- باعك أهو , هو كده الإنسان لما يبقى قدام الموت بيضحي بكل حاجه قدامه عشان

يفضل حي , بيمسك في الحياة بإيديه وسنانه , بيبيع اللي قدامه في ثانية .

أخذ الرجل يدور حولهم بخطوات بطيئة وهو لازال يوجه كلامه للرجل الثاني .

- بس متقلقش , عقابه موجود , بجانب طبعًا اللي عمله فهو باعك زي ما باع صاحبه .

سحب الرجل أجزاء المسدس ليصبح مستعدًا للإطلاق ونظر لهما بغضب .

- خلقتوا جوايا شخصية عزرائيل اللي مبيرحمش .

ثم أطلق من المسدس رصاصة إستقرت في رأس الأول .

نظر بعدها للآخر وهو غاضب وإقترب منه وهو يمسكه من قميصه .

- كان ممكن أعيش حياتي طبيعي زي أى بني أدم ! ليه عملتوا كده ! الفلوس للدرجة دي بتعميكوا ؟

ثم أخرج حزمة من النقود وألقاها في وجه الرجل .

- زي الكلاب , بتهجموا علي بعض علشان خاطر حتة لحمة .

بدأ الرجل في البكاء وهو يتوسل أن لا يؤذيه .

- أنا ممكن أعيش خدامك , لكن سيبني ارجوك أعيش .

هذه المرة أخرج ضحكة عالية وهو يسخر من الرجل .

- عزرائيل مبيستناش علي حد ومبيصبرش .

ثم أمسك بالسكين وهو يقترب من الرجل الذي أغمض عينه وهو يبكي بشدة ولازال يتوسله للرحمة .

اقترب وهو يقول :

- **متقلقش , كل واحد كان سبب في تعاستي الأبدية هييجي وراك وهيحصلك , مش همشي من الدنيا دي غير وانا واخد حقي من واحد واحد .**

ثم نحر عنق الرجل مرة واحدة وهو يبتسم .

****

2014 م ..

الإسكندرية - العامرية

—

الحاج جابر يجلس كعادته في يده كوب الشاي الساخن , يتابع مواصلة هدم هذا البيت القديم لكي يعاد بِنائه , برودة الجو لم تمنعه من مواصلة أعماله رغم ان الأرصاد توقعت أن أجواء الأسكندرية ستكون ممطرة وعاصفة في هذه الأيام , اقترب احدي عماله منه .

- **صباح الخير يا حاج ؟**
- **صباح الفل يا مسعد .**
- **مش عاوز اقلقك يا حاج بس العمال وهما بيفضوا البيت من الحاجات اللي جواه**

لقيوا صندوق غريب كدة ومقفول بكذا قفل .

- طيب يا مسعد طلعوه وحطوه في عربيتي وانا هشوف ايه جواه.
- حاضر يا حاج .

الحاج (جابر) رجل يقترب عمره من الستون ورغم ذلك عندما تراه تجده مليء بالنشاط والحيوية بسبب بنيته الجسدية الجيدة , دائمًا ما يواجه اشياء غريبة في عمله فهذا الصندوق ليس بشيء جديد عليه , دائمًا ما تكون هذه الصناديق موجود بداخلها اشياء ليس لها قيمة او ألعاب تخص طفل كان موجود فى هذا المنزل , أخرج العمال الصندوق بحرص ووضعوه فى سيارة (جابر) .

من خلفه ظهر رجلًا بنيته الجسمانية قوية يقترب منه , يرتدي ملابس منظمة وراقية ونظارة شمسية , وجهه وسيم ولديه لحية ليست بكثيفة او خفيفة .

- ازيك يا حاج (جابر) ؟
- اهلاً اهلاً (زياد) باشا عامل ايه ؟
- الحمدلله يا حاج إنت ايه اخبارك ؟ واخبار الشغل ؟ , بعد كده ما بلاش حكاية باشا ديه بقي .
- الحمدلله يابني والله , زي ما انت شايف , مبروك الترقية صحيح ! عارف إنها جايه متأخر بس زي ما انت شايف المشاغل بتخلى الواحد بينسى ويتشغل .
- ولا يهمك يا حاج ربنا يكون في عونك اكيد , الله يبارك فيك . هسيبك عشان تكمل شغلك وإدعيلى .
- ربنا يقف معاك ويسندك يابني .

تركه (زياد) بينما أمسك (جابر) بكوب الشاي واخذ رشفَة منه وهو يعيد أنظاره تجاه المنزل .

****

2014 م ..

مديرية أمن الاسكندرية

—

يجلس المقدم (مصطفي دسوقي) امام مكتبه ممسكًا بإحدى اوراق قضية ما ويبدو عليه الارهاق والتعب , فتح الباب ودخل المقدم زياد .

- **صباح الخير ؟**
- **صباح الخير يا (زياد) .**
- **باين عليك مشغول أوي وتعبان .**
- **مش عارف انام ليا 3 ايام يا (زياد) .**
- **القضية ديه محتاجة تركيز عالى وكده إنت بتتعب نفسك , لازم ترتاح شوية يا (مصطفى) .**
- **مش قادر , لازم على الأقل ألاقي خيط يوصلنا للي عمل كده , جريمتين قتل في شهرين !**

- ما هو اكيد اللي عمل كده مش مبتدئ يا (مصطفى) وعارف ان فيه أثار هتكتشفها الشرطة من بعده .

أوما (مصطفى) رأسه وهو يوافق (زياد) رأيه وينظر للأوراق .

- باين علينا قدام مجرم مش سهل .
- طيب قوم كده روح نام شوية , وانا هكمل.
- مش هقدر يا ...

قاطعه (زياد) .

- انا قولت خلاص هترتاح يعني هترتاح .
- طيب يا (زياد).

نهض (مصطفى) من على مكتبه .

- اوراق القضايا قدامك , لو في أي جديد كلمني .
- حاضر .

- سلام .
- سلام .

جلس (زياد) علي كرسيه بعد أن علق معطفه ثم بدأ يتابع اوراق القضايا أمامه وبدأ في قراءة تقرير القضية الأولي .

القضية رقم 296 ..

التاريخ : 3 / 10 / 2014 م

الإسكندرية - غرب العامرية

(مروة منعم عبد الكريم) فتاة تبلغ من العمر إثنان وعشرون عامًا عثرت عليها الشرطة جثة هامدة في بيتها في الساعة السابعة صباح يوم 3 / 10 / 2014م

تم نقلها للمشرحة لتباين تفاصيل الحادث وسبب وفاتها .

جاء تقرير الطب الشرعى كالأتي :

الضحية توفت بين الساعة الرابعه ونصف فجرًا و الساعة السادسة بحكم تجلط دمائها .

سبب الوفاة كان نحر عنق الضحية بواسطة سكين والضحية توفت فور نحرها مباشرة لكن تظهر أثار كدمات على كلً من منطقة البطن والفخذ و جزء من القدم اليسرى مبتور . الكدمات تظهر مقاومة الضحية لمحاولة قتلها .

تم اغلاق القضية بحكم ضد مجهول .

.....

اتسعت عين (زياد) وكانت الدهشة تظهر على وجهه فور انتهائه من اوراق هذه القضية , من الذي يكون بلا رحمة ليفعل هذا الفعل الشنيع ! ما الذي ارتكبته هذه الفتاة حتى تنتهي حياتها بهذا الشكل الشنيع !

قاطع افكاره دخول العسكري (رجب) بوقفته المعتادة الثابتة وهو يقول بلهجته الصعيدية الجميلة .

- في واحد عاوز يقابل حضرتك برة يا فندم .
- دخله يا (رجب) .

دخل رجل قصير يبدو على وجهه التعب جعل (زياد) ينظر له نظرة غضب ولكنه لم يخرج هذه النظرة على هيئة كلام وظل صامتًا .

****

جلس الحاج (جابر) على أريكته وهو يحاول استكشاف ما بداخل هذا الصندوق ولكن بلا جدوى , الصندوق مغلق من الداخل والخارج لا يفتح .

دخلت عليه زوجته الحاجة (رباب) وهى تقترب منه وتجلس بجانبه .

- مالك يا حاج سرحان في ايه ؟
- الصندوق ده انهارده لقيوه العمال في بيت (سعيد المصري) اللي هيتهدم بعد بكرة .
- طب وايه المشكلة يا حاج ؟
- الصندوق مش راضي يفتح و شكله غير أي حاجه غريبة لقيتها في أي بيت , شكله مش مطمني يا حاجة , حاسس كمان إنى شوفته قبل كده بس إنتى عارفة إن دماغ الواحد بقيت بتنسى كتير من ساعة ما الزهايمر جاله .

إلتقط أنفاسه وهو ينهض ويقول :

- هاخده كمان شوية لزياد عشان مش هيفع اسيبه اكتر من كده هنا .
- متقلقش يا حاج , خير انشاءالله , يلا عشان الأكل جاهز .

****

2014 م ..

جلس المقدم (زياد) على مكتبه وهو يشعل سيجارة و يمسك بكوب القهوة الخاص به وامامه يجلس رجل يتراوح عمره بين الستون و السبعون عامًا ويظهر على ملامحه التعب وينظر لزياد وهو يقول بصوت مُتعَب .

- **(زياد) والدتك بعتاني مخصوص عشان اتطمن عليك وقلبها مقهور عليك يابني من سعة ما سيبت كفر الشيخ وجيت إسكندرية هنا , حتى (طارق) يابنى خلاص بيجهز وهيتنقل هنا و الموضوع صعب على والدتك , انت عارف ان ولادها الإتنين ينقلوا لحتة بعيدة دي حاجة صعبة جدًا عليها.**

رد (زياد) وهو يعود بكرسيه للخلف .

- **ياه يا بابا انتو لسة مفكرين فيا دلوقتى ؟ انا ليا سنتين ناقل هنا اسكندرية ومحدش**

سأل عليا خالص منكم , حتي (طارق) مسألش عليا من سعة ما مشيت . كإنه مفيش إبن ليكم إسمه (زياد) من سعة ما مشيت وجيت هنا .

- والدتك مرت بأزمة صحية تقيلة يا (زياد) بعد ما مشيت ومحدش حب يقولك عشان متقلقش وتتخض , مكناش نقصد اننا منسألش يابني عليك . انت دايمًا على بالنا.

رد (زياد) بخوف وتحول وجهه وهو يقول :

- هي كويسة ؟

رد والده بإطمئنان :

- أيوة يابني متقلقش , احنا محبيناش نقلقك ونخضك .

عاد (زياد) مرة أخرى بكرسيه للخلف ثم قال :

- عشان كدة يا بابا انا مش راجع كفر الشيخ تانى , انتوا من زمان وانتوا بتطلعوني انا و(طارق) برة أى حاجه تخص تعبكم , دايمًا كنتوا بتخبوا علينا وبتقولونا ده لمصلحتكم , متعرفوش إن احنا اللى المفروض نسندكم في الوقت ده .
- مش عارف يابني اقولك ايه ؟

قبل ان يرد (زياد) دخل العسكري (رجب) الغرفة وهو يقول:

- في واحد إسمه الحاج (جابر) عايز يقابلك برة يا فندم .

يقوم والد (زياد) من على كرسيه وهو يقول :

- انا مش هعطلك اكتر من كدة يا (زياد) . انا قاعد في اسكندرية كام يوم عشان في شغل ورايا و راجع كفر الشيخ , هبقي اكلمك تانى .

خرج والد (زياد) بينما يدخل الحاج (جابر) وهو مرتبك ومتوتر ثم يجلس على الكرسي و(زياد) يسأله :

- خير يا حاج (جابر) ؟
- (زياد) باشا , انهاردة لما قابلتني في الموقع اللى بيتهد فيه البيت , العمال وهما بيحفروا إكتشفوا صندوق غريب كده مقفول بأقفال غريبة ومعرفتش أفتحه و شكله فعلًا ميطمنش .
- فين الصندوق ده يا حاج ؟
- برة قاعد مع (مروان) ابني
- دخله طيب ! مخليه قاعد برة ليهّ ؟

دخل مروان وهو يمسك بالصندوق ليجلس ويضعه على المكتب امام (زياد) وهو يقول :

- ده الصندوق يا (زياد) بيه .

نهض (زياد) وهو يتأمل الصندوق جيدًا ثم قال :

- طيب انا هتصرف فيه يا حاج (جابر) متشغلش بالك وهبقي اكلمك لو فيه أى جديد .
- تمام يا باشا .

نهض الحاج (جابر) ونجله وصافحوا (زياد) وخرجوا من الغرفة . وقف (زياد) و هو يتأمل هذا الصندوق الغريب مع تركيز كامل على الأقفال الغريبة الموضوعة عليه ، كان احساسه مشابه لإحساس الحاج (جابر) . كان الصندوق لونه اقرب للرمادي والأسود مختلطين وعليه خمسة من الأقفال غريبة الشكل ومرسوم علي الصندوق نقوش تقليدية مثل النقوش الفرعونية , هذا الصندوق لا يبعث الطمأنينة ابدًا داخل كل من يراه , كأن هناك قوة ظلامية سوداء يبعثها هذا الصندوق من الداخل . هذا الصندوق لا يبشر بالخير ابدًا .

****

الفصل الثاني

الأن أراك وأراقبك

2014 م ..

كفر الشيخ

——

يقف الآن (طارق) يتأمل احدي الخواتم الذهبية المعروضة في صندوق عرض إحدى محلات الذهب , كان ينوي شراءه عند إستلامه لمرتب آخر الشهر لزوجته (مريم) , كان يعرف ان ثمنه لا يتعدي الخمسمائة جنيه , يقف ويتذكر عندما وقفت (مريم) تتأمله في المرة الأخيرة ونظرة اعجابها بمظهره ولكن لم تكن النقود تسعف طارق في هذا الوقت , الأن يستطيع شراءه اخيرًا وتقديمه لها .

رن هاتفه وكان المتصل (مريم) , ابتسم ثم ضغط علي زر الرد:

- **ليه اتأخرت يا (طارق) كده ؟ . إنت كويس ؟**

- اه يا حبيبتي نص ساعه واكون عندك .
- طيب متتأخرش .
- حاضر .

(مريم) شديدة القلق علي (طارق) وتعتبره بمثابة زوجها وشقيقها ووالدها وابنها وكل شئ ويبدو ان تأخره عن ميعاده بساعه اقلقها بشدة . سيشترى هذا الخاتم لمفاجأتها قبل انتقالهم من كفر الشيخ إلى الأسكندرية غدًا .

إشترى (طارق) الخاتم وهو في طريقه للرحيل رن هاتفه مرة اخرى ليجد المتصل شقيقه (زياد) , تردد قبل أن يرد (طارق) على الهاتف ولكنه ضغط على زر الرد في النهاية وهو يقول :

- إزيك يا (زياد) ؟

ليأتى الرد من الناحية الأخرى :

- أهلًا بأخويا الندل اللى هينقل هنا في إسكندرية ومش قايل ليا ولا معبرني حتي .

- كنت عاملهالك مفاجأة .
- مفاجأه وإنت مبتسألش عليا يا (طارق) ! .
- متنساش إنك سيبتنى فى وقت كنت محتاجك جدًا فيه , مش عارف أعدى لحد دلوقتى إنك سيبتنى .
- تيجى بالسلامه ونتكلم براحتنا , إتفقنا ؟
- إتفقنا يا (زياد) .

اغلق (طارق) الهاتف وأكمل طريقه .

****

وصل (حامد) لمنزله ليجد أن من يفتح له الباب فتاة جميلة المنظر وكأنها ملاك من السماء وهي تبتسم له ابتسامة جميلة رغم سقوط شعرها بسبب السرطان والعلاج الكيميائى وهي تقول :

- حمدلله على سلامتك يا (حامد) .

عانقها ثم دخل ليجد (كريم) إبنه يهرول جريًا عليه وهو يحتضنه ويقول :

- وحشتني يا (كريم) , وحشتني جدًا !!

(كريم) ذو التسعة أعوام هو إبن (فريد) الوحيد , بشرته البيضاء وشعره الأكرت وملامحه الجميلة تجبرك أن تأخذه فى أحضانك كل دقيقة .

أمسكه من يده وهو يضع حقيبة عمله ويجلس على إحدي الأرائك و(كريم) يجلس بجانبه ويأخذه فى أحضانه بينما تنظر له (ريهام) زوجته وهى تبتسم فقط بينما أشار (حامد) لها بالإقتراب ليأخذها هى كذلك فى أحضانه .

إقتربت (ريهام) وهى تحضن (حامد) و إبنها بينما (حامد) يقول :

- انا أسعد إنسان فى العالم بسببكم .

نظرت (ريهام) وهى تربت على صدره وتقول :

- ربنا يخليك لينا .

تركتهم (ريهام) ونهضت لتجهز الطعام بينما نهض (حامد) ليساعدها .

دخلت (ريهام) المطبخ و(حامد) وراءها وهو ينظر حوله ويقول :

- قالك ايه الدكتور ؟

نظرت له (ريهام) وهى تقول بحزن والدموع بدأت تتساقط من عينيها :

- مفيش أمل يا (حامد) , خلاص مش باقى كتير .

ثم عانقته وهى تبكى بينما يحاول (حامد) تهدئتها وهو يقول وهو يحاول التماسك :

- لا متقوليش كدة , إنتى هتكملى علاج وهتخفى وهترجعي ليا انا و (كريم) بالسلامة .

صمتت (ريهام) وهى لازالت تبكى بينما لازال (حامد) يحاول التماسك وهو يكمل :

- هتعملى العملية بكرة وبعدين هتكملى علاج وتبقي كويسة , متقلقيش .

ربت (حامد) على كتف زوجته وهو لازال يحتضنها ويحاول تهدئتها من خوفها .

****

- ها عملالنا ايه أكل عشان الصراحه هموت وآكل من الصبح وعشان محضرلك كمان مفاجأة بس بعد الأكل .

قالها (طارق) وهو يجلس على الأريكة ويطوى أكمام قميصه إستعدادًا للأكل بينما ردت عليه (مريم) :

- حالًا يا حبيبي الأكل يكون جاهز , عملالك صنية مكرونه بشاميل من اللى بتحبها دايمًا

- يا سلام على الحلاوة . يلا بسرعه

دخلت (مريم) المطبخ لتحضير الطعام وجلس (طارق) على الأريكة امام التلفاز يشاهد ما يحدث في البلاد

****

انهي طارق الطعام وهو يقبل يد (مريم) :

- تسلم إيدك
- بالهنا والشفا يا حبيبي .
- يلا كده عشان تشوفي المفاجأة اللى جايبهالك

التقط (طارق) علبة لونها أحمر مريح وجميل من جيبه وقدمها لـ(مريم) التى وقفت مندهشة ثم امسكت بها وفتحتها لتجد الخاتم التي كانت تريده

منذ بضعة اسابيع , دمعت عيناها ونظرت لـ(طارق) وقالت له :

- **انا حقيقي أكتر بنت مبسوطة في الدنيا ومحظوظه اني معايا راجل زيك .**
- **دي أقل حاجه على اللى بتقدمهولي انتي .**
- **ربنا يخليك ليا .**
- **ويخليكي ليا .**

عانقته و اكملت وهى تمسك يده :

- **يلا كدة بقي عشان نلحق نحضر الشنط عشان منتأخرش بكرة على القطر .**
- **يلا انا جاى معاكى اهو .**

دخل (طارق) غرفته لتجهيز حقائبه نحو رحلة مشوقة تنتظره بفارغ الصبر.

****

القاهرة - 2003 م

الظلام يغطي الغرفة بالكامل ونسمات الهواء الخفيف تخترق الغرفة لكنها لم تمنع قطرات العرق من التجمع على جبينه يجلس (حامد) على سريره ينظر لسقف الغرفة بعدما فشل في النوم مرة اخري , حاول ان يعود إلى النوم ولكنه اخذ يتقلب يساراً ويميناً ولكنه فشل في العودة للنوم , لازال يراوده نفس الكابوس عن هذه الليله المشئومة , لقد أمره والده بالذهاب للنوم منذ ساعتين ولكنه لم ينجح إلا في النوم لمدة نصف ساعه فقط , جلس يتأمل النور الخافت الذي تسلل من النافذة وهو يستمع لصوت الكلاب ونباحها المستمر ليلاً قبل ان ينهض من على سريره ويدفع جسده للنزول وهو يتسلل ببطئ وهدوء دون ان يحدث أى ضوضاء حتى لا يوقظ اخاه (سالم) .

كان لا يريد ان يغضب والده , كان يعرف مدي قساوته خصوصًا بعد الليلة المشئومة وبعدها

وفاة والدته ورحيل كل شيء يتعلق بالحب والحنية والطيبة معها , يتذكر جيدًا كيف سيكون عقاب والده إذا وجده خارج سريره في هذا الوقت .

يتذكر كيف ربطه في عامود السرير وانهال عليه بالضرب بالعصا عندما ألح في الخروج للهو مع اصدقائه الصغار , كان وقتها لا يريد إغضاب والده ولكن رؤيته للأطفال وهم يلعبون جعلته يلح على والده للهو معهم ولو لمدة قصيرة . يومها رأي ..

رأى (حامد) والده وهو يتبدل للغضب والقسوة وكيف جره جراً للسرير لينهال ضربًا عليه بالعصا .

كيف كان يستمر بالصراخ طالبًا العطف والرحمه ، كيف طالت العصا جزءًا من رأسه فسالت الدماء التى جعلته يفزع عند رؤيتها وكيف استطاع اخوه (سالم) واخته (سلوي) انقاذه من عصا ابيه وابعاده عن (حامد) وامساك (سلوى) بمنديل لتوقف نزيف الدم الخارج من مخ (حامد) في نفس الوقت الذي يبعد فيه (سالم) والدهم عنه .

حركت الذكري مشاعر (حامد) وجعلته يتحسس موضع الندبة على رأسه وكأنها تذكرة على ما سيلاقيه إذا أغضب والده مرة أُخري .

ظل يسير بأطراف اصابعه بحذر حتى يشرب من حنفية المياه الموجودة .

شرب حتى إرتوي فهو يعرف انه لن يقوم من على سريره مجددًا إلا انه في طريق عودته سمع صوت والده وهو يتكلم مع شخصًا اخر داخل غرفة الضيوف ورغم ان صوتهما كان خافتاً إلا أن هدوء البيت والسكون المحيط به جعل سمعه مرهفًا ليسمع بسهولة .

كان خوفه الشديد من والده يجعل (حامد) خائف من كل شيء , يخاف الظلام , يخاف السهر , يخاف طلب أى شيئ من والده , كان الخوف مسيطرًا على حياته وكأنه اخوه , تسلل (حامد) بهدوء لباب غرفة الضيوف التى كان بابها غير مغلق ولكنه كان مواربًا مما جعل الرؤية تبدو شبه

واضحة , كان خاله (سعد) يجلس مع والده , بدأ يفكر (حامد) , لماذا الخال (سعد) متواجد في مثل هذا الوقت المتأخر ! كان يبدو ان الثنائي يتشاجران على شيء ما واذا بحبل تفكير (حامد) ينقطع على صوت شخص يتألم داخل الغرفة . نظر (حامد) داخل الغرفة ليتسمر في مكانه وهو في ذهول تام وخوف مما رآه , (سعد) مستلقي على وجهه وكان هناك سكين مطعون به في الخلف والدم ينزف منه ، والد (حامد) طعن (سعد) من الخلف ثم بصق عليه . اغمض حامد عينه لعدم تحمله المنظر الذي امامه لكن عندما فتح عينيه تفاجئ بوالده ينظر له نظرة غضب .

حاول (حامد) الصراخ والتراجع لكنه تجمد في مكانه . لعن نفسه على عجزه , صديقه الخوف لا يريد تركه .

انتفض والده من مكانه وفتح الباب الموارب بقوة وامسك (حامد) من طرف ملابسه ورفعه من

الأرض و سحبه داخل الغرفة واغلق الباب وسحبه من شعره بقوة وهو يسأله بقسوه :

- شوفت ايه ؟

حاول(حامد) النطق بأى شيء لكن الخوف ولسانه لم يطاوعونه ابدًا.

حاول الاستنجاد بخاله ولكن هيهات فخاله لا يستطيع الأن سماعه . كان لا يتحرك ساكنًا والدماء تسيل منه .

اقترب والده من اذن (حامد) وقرب فمه وقال :

- عارف هيحصلك ايه يا (حامد) لو بوقك بس قال كلمة عن اللي شوفته دلوقتى ده ؟ هقطع لسانك وعينك عشان متتكلمش ولا تشوف تاني ابدًا .

كلمات والده كانت مثل الموت البطيء رسخت في عقله , دمعتا عينيه وبدأ جسده في الارتعاش فتركه والده وهو يقول له :

- حالاً ألاقيك في السرير ونايم .

جري (حامد) من الخوف نحو غرفته وألقى الفراش عليه وجعله يغطي جسمه بالكامل من أعلى رأسه وحتى قدمه

ومع هدوء المكان كان صوت خوف (حامد) يظهر مما اوقظ (سالم) على صوت ارتعاش جسم أخيه نهض واقترب من سرير (حامد) .

- (حامد) انت كويس ؟

رد (حامد) وصوته ممتلئ بالخوف .

- ايوة يا (سالم) متخافش .

رد (سالم) عليه :

- متأكد ؟
- اه يا (سالم) .
- طب انت كنت برة بتعمل ايه ؟
- كنت بشرب عشان عطشان .

- طيب تحب آجي أنام جنبك ؟
- لا يا (سالم) , تصبح على خير .
- وانت من اهله

كان يعلم (حامد) ان ما حدث وما رآه يبدو أنه مكملة الكابوس الذي يراوده , كان يعلم أنه لابد أن يكمل الطريق و عليه ان يقطعه دون ان يعلم ما ينتظره في النهاية .

****

في مساء اليوم التالي ..

ارتمى (حامد) في أحضان شقيقته الأكبر (سلوى) فهي اخيراً عادت للمنزل بعد سفرها للإسماعيلية من أجل دراستها في الجامعه . ربتت (سلوى) على ظهر شقيقها الصغير (حامد) قائلة:

- وحشتني يا (حامد) .
- وانتي كمان يا (سلوي) وحشتيني .

ظل (حامد) متعلق بعنق شقيقته , ارتسمت ابتسامة على وجهها قبل ان تسأله :

- بابا و (سالم) فين ؟
- (سالم) مع اصحابه بيلعب برة .
- وبابا ؟

رد (حامد) بغضب :

- معرفش معرفش .
- طب خلاص مالك متضايق ليه ؟
- مش متضايق .
- طيب يلا قوم إنزل العب مع اصحابك وانا هقوم اوضب البيت المكركب ده .

عاد الحاج (سعيد الجَمَّال) والدهم للمنزل ووجد (سلوى) امام التلفاز ويبدو نها تنتظره فقال لها و في نبرته عدم الاهتمام :

- حمدلله على السلامة .

ردت عليه (سلوى) وهى تنهض وتبتسم له :

- حمدلله على سلامتك يا بابا , مجيتش خدتنى ليه ؟
- معلش كان في مشوار بخلصه . أنا داخل أرتاح شوية.

أومأت (سلوى) رأسها بالموافقة بينما تركها (سعيد) ودخل غرفته .

***

2014 م ..

غرب العامرية – الإسكندرية

--

- أنا قرفت منك إنت مبتشبعش كدب ؟

قالتها وهي تنهض وعلي وجهها غضب كبير بعدما وجدت رائحة إحدي العطور النسائية على قميصه ليلة أمس .

(مروة) كان قد فاض بها الكيل من أكاذيب زوجها ومعرفتها بخيانته لها برغم إنكاره ولكن هذه المرة لم تستطع التحمل بعدما كانت ترتب ملابسه ووجدت رائحة إحدي العطور النسائية التى تميزها بشدة بعد عودته ليلًا في الأمس وهو ثملًا للغاية . مشاكل (مروة) وزوجها (شهاب) كانت كثيرة ولا تُحتمل . زواجهم رغم أنه زواج أقارب إلا أن (شهاب) يحب (مروة) منذ صغرهم , كان حبهما القوي هو ما جعل (شهاب) يرغب في الزواج سريعًا من (مروة) التى وافقت فور عرضه عليها الزواج , كان زواجهم بدون تعقيد او مشاكل فـ(شهاب) هو إبن عم (مروة) لذا كانت حياتهم تجري سريعًا , كانت قصة حبهما جميلة قبل زواجهم قبل أن تنقلب حياتهم ويصبح حبهما هو سبب تعاستهم . (شهاب) الذي أمامك هو شخص سكير ولا يأبه أى شئ وغير مسؤول ولكن كل هذا لم يكن موجود قبل عامين , (شهاب) كان رجل أعمال ناجح جدًا ومتفوق في عمله ولكن إنقلبت حياته تمامًا بعد

فقدانه لإبنه (يوسف) الذي توفي غرقًا منذ عامين , كان (يوسف) هو الإبن الوحيد لـ(شهاب) ووفاته دمرت حياته تمامًا , حتي أنه كان قريبًا من الإفلاس بعدما كان يصرف نقوده علي الخمر والمقامرة والنساء , (مروة) كانت تعرف أنه يصرف نقوده علي كل هذا ولكنها تحملت لحبها الشديد له ولكنها سئمت من أفعاله وآخرها هو خيانته لها .

دخلت (مروة) غرفتها وأغلقتها وهي تبكي بينما (شهاب) كان يتوسل إليها أن تفتح له لكي يشرح لها ولكن هذه المرة لن تكون هناك أعذار , وقفت أمام باب الغرفة وهي تقول بصوت عالٍ :

- طلقني يا (شهاب) , انا تعبت منك .

(شهاب) كان لازال يتوسل لها لتفتح له وهو يقول:

- إفتحي يا (مروة) , خلينا نتفاهم , أرجوكي إنتي فاهمه غلط , إفتحي .

(مروة) كانت تُصر علي موقفها من الطلاق منه

تحول (شهاب) للغضب التام وهو يقول :

- إنتي فاكرة إنك كدة بتكسريني ؟ , أنا ممكن أكسر الباب دلوقتى وأدخل أجيبك من شعرك وهخليكي تنسي حكاية الطلاق دي ! , فاهماني ! .

صمت قليلًا ثم قال في هدوء :

- إفتحي يا (مروة) خلينا نتفاهم , إفتحي !.

(مروة) كانت قد تراجعت للخلف لخوفها من الوَحش الذي يقف بالخارج , كانت تعلم أن (شهاب) الهادئ بعد موت (يوسف) تحول لشخص عديم الرحمه يسيطر عليه الغضب , تذكرت عندما كشفته في إحدي المرات وهو يحادث إحدي النساء وهو يغازلها بكلام لا يُحتمل , تذكرت عندما كشفته وبدأ صوته يعلو وهي تعترض , تذكرت وهو يصفعها على وجهها ويعطي لها بعض الضربات بقدمه في بطنها وظهرها وذراعها

الذي كُسر نتيجة الضرب المبرح , نظرت لذراعها وهي لازالت تتذكر .

فتحت (مروة) حقيبتها وهي تخرج بطاقة عليها إسم محامٍ وعنوانه ورقم هاتفه , نظرت وهي لازالت تبكي وهي تعلَم أنه لا مفر من زوجها سوي لجوئها للقضاء , غضبها وحزنها كان أكبر من حبها لـ(شهاب) رغم علمها أن (شهاب) لن يعود كما كان . إلتقطت (مروة) هاتفها وهي تكتب الرقم الموجود علي البطاقة ثم ضغطت علي زر الإتصال .

*****

الفصل الثالث

الأقنعة كثيرة والوغد واحد

2014 (الساعه 7 صباحًا)

—

جلس زياد امام مكتبه كالعادة ممسكًا بكوب القهوة والسجارة منهمكًا , وبدأ في قراءة تقرير القضية الثانية

———

القضية رقم 303

التاريخ : 21 / 10 / 2014م

العجمي

—

(على خليفة عبد السلام) رجل يبلغ من العمر ستة وأربعون عامًا وجد جثة هامدة في احدي المنازل التى يقضي بها عطلات نهاية الأسبوع في

الساعة الحادية عشر مساء يوم 21 / 10 / 2014 م

تم نقله للمشرحة لتباين تفاصيل الحادث ومعرفة اسباب الوفاة وجاء التقرير كالآتي :

الضحية توفي متأثرًا بإحدي السموم القاتلة (الزرنيخ) بسبب زيادتها بالجسم وتم الكشف عن نوع السم بتحليل دم الضحية ووجد انه توفي بعد 20 دقيقة فقط متأثرًا به على الرغم من نحر عنق الضحية بسكين (جزار) وتواجد كدمات فى مناطق الظهر والبطن والكتفين .

تم اغلاق القضية ضد مجهول .

.....

بدأ زياد في تدوين ملاحظات في ورقة جانبية وكتب كالآتي :

ملاحظه رقم 1 ..

القاتل يستخدم أداة قتل دائمة وهى سكين (جزار) في الحادثة الأولى والثانية .

ملاحظه رقم 2 ..

يستخدم طرق مختلفة كالتسميم والضرب العنيف لتضليل الطب الجنائي عن معرفة سبب الوفاة .

...

انتهي (زياد) من تدوين ملاحظاته ليفتح الباب ويدخل عليه المقدم الرائد (مصطفى) وهو يقول :

- عملنا تحريات عن أشكال النقوش دي وفعلًا طلعت نقوش فرعونية قديمة . اما القفول بترجع لحوالي عشرين سنة فاتوا لكن رغم كده نقدر نفتحها بحاجه تكون تقيلة جدًا لأن القفول ضعفت مع الوقت بسبب الصدا .

ليرد (زياد) :

- هايل , انشاءالله خير . بلغني بأى جديد ابقي
- حاضر يا (زياد) .

***

2014م ..

العامرية

—

يستكمل الحاج (جابر) اعمال هدم بيت (سعيد المصرى) وهو يترقب ما يحدث , (مروان) يقف يتأمل استكمال الحفر النهائي قبل الهدم ليأتي صوت صراخ من داخل المنزل هز الصمت والسكون الموجودون بالمكان ليخرج (مسعد) مهرولًا ظاهرًا على وجهه الرعب والخوف وهو يقول :

- الحق يا حاج الحق يا حاج !!

حاول (جابر) تهدئته وهو يقول :

- اهدي يا (مسعد) وفهمني براحة فيه ايه ؟
- البيت .... جثتين .... البيت
- يبني إهدي يبني مش عارف افهم منك , خد كوباية المية واشرب وإهدي وإحكيلي.

اخذ (مسعد) كوب الماء وشربه بأكمله ثم اعطي الكوب للحاج .

- احنا وبنحفر يا حاج عشان نتأكد فيه حاجه ولا لا تانى كنت انا و (عبد الرحيم) شغالين في ركن من البيت قريب من أوضة كده واحنا بنحفر كان فيه خيط أبيض باين من وسط التراب فقولت لـ(عبد الرحيم) يحفر في الحتة دي يشوف ايه ده اللى ظاهر ولما خلاص قربنا نخلص .. اللهم احفظنا .. اللهم احفظنا .
- ما تنطق يا واد شوفتوا ايه ؟

- جثتين يا حاج , هياكل عظمية ملفوفة في ملايتين لونهم ابيض وباين علي الجثتين انهم جثتين لإتنين رجالة يا حاج .
- انت بتقول ايه يا مجنون انت ؟
- لو مش مصدق يا حاج تعالى وشوف بنفسك انا مش هكدب عليك في حاجه زي كده .

نهض (جابر) ووراءه (مروان) مهرولين للبيت وعندما دخلوا وجدوا العمال يتجمعون امام باب هذه الغرفة , افسح (جابر) الطريق ودخل الغرفة ليجد (عبد الرحيم) يجلس مصدومًا وخائفًا وينظر امامه إلي لا شئ .

امسك (جابر) بـ(عبد الرحيم) ثم قال :

- خدوه خلوه يشرب أى حاجه عشان الخضة اللى اتخضها ويلا كل واحد يكمل شغله .

اغلق (مروان) الغرفة وبقي هو ووالده والجثتين فقط في الغرقة ثم قال (جابر) :

الجثتين باين عليهم لإتنين رجالة فعلًا شكلهم .

ثم دقق النظر اكثر واكمل :

وباين عليهم ماتوا من زمان .

فسأله (مروان) :

- طب وانت عرفت منين يا ابويا ؟
- حاجات يبني مرت على حياتى , بس مش عارف ليه أنا مش مستريح للجثتين دول.

نظر بتمعن للجثتين ثم اكمل :

" لازم ننقل الجثتين دول بسرعه للمستشفي عشان متلبسناش تهمة يبنى ولازم نبلغ المقدم (زياد) لأن اكيد الجثتين دول ليهم علاقة بالصندوق اللى لقيناه من يومين . "

نادي الحاج (جابر) على أربعة من العمال ليرفعوا الجثتين وهو يقول لهم :

- حطوهم في العربية براحه .

وضع العمال الجثتين في السيارة ثم إنطلق (جابر) سريعًا للمستشفي .

***

سوهاج .. 2003 م

—

يجلس (سعيد) على القهوة مع صديقيه (حسان) و(بكري) ويبدو عليه عدم التركيز , ليستفيق على صوت (حسان) وهو يناديه للمرة السادسة وهو يقول :

- ها ؟ , كنت بتقول حاجه يا (حسان) ؟
- لا ده انت شكلك مسافر خالص!
- معلش كنت سرحان شوية

- كنت بقولك هتعمل ايه في موضوع (سعد) ده ؟
- مش عارف يا (حسان) ! انا خايف حد يلاقيه
- ما هو أكيد كل ما الوقت عدي كل ما الناس هتشك في غيابه يا (سعيد) !

ليتدخل (بكري) في الكلام :

- حد شافك يا (سعيد) ؟
- أيوة .
- مين ؟
- (حامد) إبني
- يعم خضتني ! , (حامد) ده عيل صغير يا (سعيد) .
- ما هو ده اللى مخوفنى , إنت مشوفتش إزاى كان مصدوم ! , (سعد) كان غالى أوي عند الولاد ومش عارف عملت كده ازاى !.
- متقلقش منه انت بس أُقعد معاه وهاتله حاجه بيحبها معاك وانت مروح .

- مش عارف أنام يا (بكرى) حاسس إني بقيت شغال قتال قتلة !!
- يعم ولا قتال قتلة ولا حاجه , المهم إننا جاهزين للتسليمة الجاية مع الخواجه وهنسلم ال 3 حتت اللى قولنا عليهم .

ليرد (حسان) علي (بكرى) في نبرة غاضبة :

- يا جدع قوله يأجل التسليمة كام يوم كمان لحد ما نعرف هنعمل ايه في موضوع (سعد) ده ! انت مش شايف شكل (سعيد) عامل ازاي !
- احنا هنخيب ولا ايه يا (حسان) ؟ , ما تنشفوا كدة و إلا هنتفضح كلنا !

رد (سعيد) في لهجة هادئة :

- (بكري) معلش أجلها يومين كمان التسليمة وخليها بعد 4 ايام من انهاردة لحد ما اتصرف في موضوع (سعد) ده عشان محدش يدور ورانا .

- ماشي يا (سعيد) هكلم الخواجه بس هما يومين بس تمام ؟
- تمام يا صاحبي .

...

في المنزل ..

تجلس (سلوي) تشاهد التلفاز بينما (سالم) يلهو بألعابه الخاصة به , وفي ركن اخر (حامد) يقف ساكنًا امام باب غرفة الضيوف المغلقة وتكاد عينيه أن تدمع ليجد صوت والده في الخلف وهو يغلق باب المنزل وراءه , تحرك (حامد) سريعًا من امام الغرفة حتى لا يغضب والده , نظر (سعيد) في ارجاء المنزل ثم سأل (سلوى) :

- امال فين (حامد) و(سالم) يا (سلوى) ؟
- (سالم) قاعد بيلعب بألعابه .

ثم نظرت في ارجاء المكان ثم اكملت :

- معرفش (حامد) فين , تلاقيه هنا ولا هنا .

غضب (سعيد) علي (سلوي) وهو يقول :

- يعني ايه متعرفيش فين ؟ , انتي ايه لازمتك هنا في البيت ؟

أسرع (سعيد) نحو غرفة الضيوف للتأكد منها , وجدها مغلقة كما تركها فهو لا يرغب في ان يعلم احدًا ما بداخلها , دخل غرفته وأتي بالمفتاح الذي يخفيه في أحد الأدراج ثم خرج متجهًا ناحية الغرفة لتأكيد اطمئنانه وفتح باب الغرفة وأشعل الأضواء واطمأن قلبه عندما لم يجد (حامد) بداخلها ثم سمع صوت (حامد) من خلفه :

- انا اهو يا بابا .

نظر (سعيد) لمصدر الصوت سريعًا ثم ذهب ليحتضن (حامد) وهو يقول :

- قلقت عليك يا (حامد)

(حامد) لم يحتضنه وكان ينظر له وهو يحتضنه نظرة تصف كل ما بداخله تجاه والده .

ثم بدأ (سعيد) في الكلام مرة اخرى :

- تعالي اوريك انا جيبتلك ايه معايا ؟

اخذ (سعيد) بيد (حامد) واغلق الغرفة ووضع المفتاح في جيبه.

فتح (سعيد) شنطة الهدايا التي احضرها وبها بعض الألعاب الثمينة وقدمها ل(حامد) ثم قال له :

- شوية العاب أهم من اللى بتحبهم , روح نادي على (سالم) كمان عشان جايبله ألعاب .

كانت (سلوي) تراقب ما يدور وكانت تنظر لوالدها بنوع من الدهشة , (سعيد) لا يشترى الألعاب ابدًا ولم يشتري لأي احد منا , حتي الألعاب الموجودة كان الخال (سعد) هو من اشتراها لذا مثل هذا الموقف يعد نادرًا ولكن على الرغم من ذلك إرتسمت الإبتسامه على وجهها عندما رأت فرحة (سالم) بالألعاب لكنها عادت للتفكير في رد فعل

حامد الذي يجلس شاردًا ممسكًا بإحدي الألعاب وكأنه ينظر إلي لا شئ , ثم قاطعت الموقف الذي امامها وهي تتكلم بسخرية :

- وانا يا بابا مفيش حاجه ليا ؟
- وانا اقدر أنسي برضو ؟

ثم امسك بكيس أخر وقدمه لـ(سلوي) واكمل :

- ده بقي يا ست (سلوي) لبس جديد ليكي عشان الجامعه .
- شكرًا خالص يا بابا .

نظر (حامد) لوالده نظرة غادرة وغاضبة وكأن نظراته تقول :

" يا لك من مخادع ".

ثم عادت (سلوي) للكلام :

- بابا صح !! , (هدي) مرات خالو (سعد) اتصلت انهاردة سألت عليه عشان مرجعش البيت من يومين وقلقانه عليه .

إرتبك (سعيد) فور سماع سيرة (سعد) وتوتر وهو ما كان يلاحظه (حامد) بشدة , تمالك (سعيد) أعصابه ثم قال :

- أكيد يا (سلوي) فى حتة هنا ولا هنا ما انتوا عارفين خالكم بيحب يخضنا عليه دايمًا ! .

لم يتمالك (حامد) نفسه من البكاء ونهض ليجري لغرفته سريعًا .

ظهر التساؤل على وجه (سلوى) ونهضت لتذهب وراءه ولكن والدها اشار لها بالجلوس وذهب وراءه للغرفة .

فتح (سعيد) الغرفة واغلق بابها وراءه , ابتعد (حامد) نحو الحائط لخوفه الشديد من والده . ثم بدأ كلامه :

- انا مش هحاسبك على اللى انت عملته دلوقتى ده . لكن خليك عارف إن الغلطة الجاية هتكون تمنها روحك و هتحصَل خالك وانا هعرف أتصرف إزاي وانت عارف.

ثم اكمل بلهجة حزينة وخبيثة :

- خالك كان غبي وحاول يأذيني يا (حامد) , يرضيك يبنى اتأذي بسببه ؟

. رد (حامد) ووجهه يمتلئ بالدموع :

- انا بكرهك , بكرهك ومش عايزك .

ضحك (سعيد) ثم قال :

- لما تكبر يا (حامد) هتفهم إنك ممكن تعمل أى حاجه عشان تعيش حياتك في أمان , حتى لو وصلت إنك تقتل .

دخلت (سلوي) وفتحت الباب فجأه وهى تقول :

- بابا في حد من الشرطة برة عايزك !

هذه المرة ارتبك (سعيد) بشدة وبدأ يفرك في يديه ونظر للأرض ثم قال لـ(سلوي) :

- دخليه وقوليله إني طالعله
- حاضر .

نظر (سعيد) لـ(حامد) ثم قال له :

ده التحذير الأخير يا (حامد) ليك , بعد كده هتشوف وشي القاسي ده دايمًا .

خرج (سعيد) واغلق باب الغرفة وراءه .

استمر (حامد) في البكاء حتى نام . أما والده فكان امام ورطه كبيرة .

..

خرج (سعيد) ليجد ثلاثة من رجال الشرطة واقفون في إنتظاره ومعهم (سلوي) ..

- بابا الناس واقفه من الصبح وانت قافل أوضة الضيوف ف....

لم يدع (سلوي) تكمل كلامها عندما نظر لها بقسوة .

- معلش يا باشا الأوضة فيها كراكيب كتير وكده .
- احنا مش هنطول يا (سعيد) بيه , احنا جالنا بلاغ عن اختفاء (سعد رجب الطحان) اخو زوجة حضرتك و خال الأولاد من يومين وفي شهود من الناس أكدت انها شافت اُستاذ (سعد) وهو داخل بيتك أخر مرة يوم إختفاؤه الساعة واحدة بعد نص الليل قبل ما يختفي .

رد (سعيد) بسؤال :

- ايوة حضرتك بتتهمني بإختفاؤه ولا ايه مش فاهم !

ليرد أحد الظباط :

- لا يا أستاذ (سعيد) منقصدش , احنا بس عايزين نعرف لو حضرتك تعرف عنه أى حاجه تساعدنا يعني خصوصًا إن أخر حد شافه هو حضرتك .

ليرد (سعيد) بطريقة تمثيل خبيثة واضحة :

- (سعد) من يومين جالى البيت وكان باين عليه انه شرب كتير يعني حضرتك وجيه يخبط فيا بالكلام وشدينا شوية مع بعض وقام ومشي وهو متعصب وخبط الباب وراه . دي أخر مرة شوفته او سمعت عنه أى حاجه حضرتك .

ثم اكمل وهو يعود للهجته الطبيعية :

- لو عرفت عنه أى حاجه يا باشا أوعدك اني هبلغ حضرتك علطول .
- شكرا يا استاذ (سعيد) وأسفين لو عطلنا حضرتك .
- لا حضرتك متقولش كده ! . شرفتونا .

اغلق (سعيد) الباب وراء الظباط ثم عاد ليجد (سلوي) ترمقه بنظرات غريبة ثم سألت :

- بابا هو من امتي خالو (سعد) بيشرب او بيسكَر اساساً ؟ , خالو عمره ما فوت فرض من الفروض وكان متدين ويعرف ربنا كويس جدًا .

ليرد عليها بغضب :

- خالك في الفترة الأخيرة إتغير ومبقيش بتاع ربنا ولا حاجه , إنتي كنتي مسافرة ومتعرفيش حاجه .

- خالو كان بيسأل عليا دايمًا وبيتصل عليا على عكسك ومكانش باين عليه أى حاجه من اللى قولتها وكان زي ما انا اعرفه دايمًا .

حاول (سعيد) التهرب من الموضوع وهو يحول وجهه لوجه متعَب وهو يقول :

- انا داخل انام عشان تعبان . تصبحي على خير .

ثم تركها وهى لازلت ترمقه بنظرات إستعجاب ثم نظرت لباب غرفة الضيوف ثم دخلت غرفتها .

****

صباح اليوم التالى ...

تدخل (سلوي) على (حامد) وهو نائم وهي تغلق باب الغرفة وراءها لكي توقظه .

يجيب (حامد) وهو نائم :

- في ايه يا (سلوى) ؟

- قوم عايز اتكلم معاك ؟

ينهض (حامد) وهو يقول :

- فيه ايه ؟
- روح اغسل وشك وتعالى .

نهض (حامد) ليغسل وجهه ثم عاد لها وأغلق باب الغرفة وجلس على سريره وبدأت سلوي بسؤاله :

- (حامد) بابا لما دخل وقعد معاك هنا كان بيقولك ايه؟

نظر (حامد) نظرة خوف ووجهه تبدل للرعب ثم رد وهو مرتبك:

- كان ... كان بيشوفني ببكي ليه ؟
- وانت كنت بتبكي ليه ؟
- ها؟ افت .. افتكرت ماما عشان هي كانت دايمًا بتجبلنا العاب انا و(سالم) .
- طب ما احنا دايمًا بنجيب سيرة ماما وانت مبتبكيش ايه اللى حصل ؟ .. ثانيًا.. ليه

باب أوضة الضيوف مقفول من سعة ما جيت وديه حاجه بتحصل لأول مرة ودايمًا حتى لو الأوضة فيها كراكيب كتير بتفضل مفتوحة ! , تالت حاجه إنت شوفت خالو فعلًا وهو سكران أو متغير الفترة الاخيرة ؟ .

بدأ (حامد) في البكاء وهو يقول لها :

- معرفش حاجه .. معرفش !

نظرت (سلوي) لـ(حامد) نظرة إشفاق لكونها تضغط عليه بصعوبة وهو لا يزال صغيرًا فإقتربت منه واحتضنته وهى تعتذر له :

- انا أسفة متزعلش مني . موضوع إن خالو مش لاقيينه ده مضايقني فغصب عني صدقني متزعلش .

ثم اكملت :

- قوم يلا انزل إلعب مع اصحابك .

نهض (حامد) وخرج ليلهو مع أصدقاءه وجلست (سلوي) تفكر كثيرًا ثم نهضت لفعل شئ ما .

...

- مش هينفع نأجل اكتر من كده يا (سعيد) . الخواجه مستعجل .

قالها (بكري) وهو يسحب نفسًا عميقًا من الشيشة وهو يكمل :

- احنا أول مرة نتأخر كده ومش هينفع نأجل .

ليرد (حسان) :

- التنفيذ خلال ثلاث ايام خلاص والمكان زي ما هو يا (بكري) . مفيش حاجه هتوقفنا .

ليرد (سعيد) بغضب :

- انتوا ليه مش حاسين بالورطة اللى انا فيها ؟ . الشرطة والناس بدأوا يلاحظوا إن (سعد) مختفي وفي ناس شاهدة إنهم أخر مرة شافوه وهو داخل بيتي !

ليرد (حسان) :

- (سعيد) العملية دي هتكسبنا ستة مليون جنيه انت متخيل ! , وكمان متنساش إننا أجلنا العملية عشان خاطرك يومين والخواجه مش هيقدر يصبر اكتر من كدة .

نظر (سعيد) وهو يسلم أمره لله ويقول :

- على بركة الله .

ترك (بكري) الشيشة وهو يقول :

- يبقي نقرا الفاتحة يا رجالة .

وبدأو الثلاثه في قراءة الفاتحة . ثم قال (بكري) :

- التنفيذ الساعه 12 بليل بعد 3 ايام .

رد (حسان) و(سعيد) :

- أمين .

****

جلست (سلوي) على سرير والدها من التعب بعدما فقدت الأمل في البحث عن مفتاح غرفة الضيوف لكنها لن تستسلم واستكملت البحث في الأدراج ليدخل عليها فجأة (حامد) وهو يقول لها :

- (سلوي) بابا جيه . إطلعى بسرعه ! .

اغلقت (سلوي) الأدراج واعادت كل شئ لطبيعته وأسرعت للخروج .

دخلت (سلوي) غرفة (حامد) و(سالم) وهى تأخذ انفاسها بينما دخل والدهم غرفته . ثم بدأ (حامد) بالكلام :

- (سلوي) كنت عايز احكيلك حاجه بس خايف .

نظرت (سلوي) له بإهتمام ثم قالت له :

- إحكي ومتخافش أنا معاك .

رد (حامد) وهو يقول بخوف :

- توعديني إنك متقوليش حاجه لبابا ؟
- أوعدك طبعًا .

ثم بدأ (حامد) في الكلام وهو يبكي :

- خالو (سعد) مات يا (سلوي) .

بدا على وجه (سلوي) الصدمه تمامًا وهي تقول :

- انت بتقول ايه يا (حامد) !
- زي ما بقولك كده , خالو مات واللى قتله بابا كمان .

ازدادت صدمة (سلوي) اكثر ثم اكمل (حامد) ما رآه في تلك الليلة عندما رأى خاله يُطعن من والده , كان كل همه أن لا يكتشف والده أنه مستيقظ ليشرب المياه , لم يكن يعلم أن هناك قصة جديدة ستنضم إلى قصة اليوم المشئوم , حكى لها تهديد والدهم له وإعطائه الإنذار الأخير وإلا سيقتلع عيناه ولسانه من مكانهما .

أنهى (حامد) كلامه بينما (سلوى) لا تدرى هل ما سمعته الآن حقيقى أم (حامد) يختلق ذلك , وإن كان حقيقيًا فما هذا الجبروت ! , هل هذا انسان الذي يعيش معنا ! , كانت لا تعرف هل تبكي على قتل خالها وموته ام تبكي على والدها القاتل وصدمتها به , تماسكت (سلوي) ثم قالت :

- لازم نلاقي خالو (سعد) يا (حامد) ونجيب حقه حتى لو كان من بابا !

خرجت (سلوي) وهى تبكي ولكنها توقفت لأنها كانت تسمع والدها وهو يحادث شخص ما على

الهاتف ويبدو عليه انه يحاول إخفاض صوته اقتربت من باب غرفته اكثر وقربت اذنها وسمعته وهو يهمس ويقول :

- بلغ الخواجه خلاص التسليمة كمان 3 ايام الساعه 12 بعد نص الليل والخواجة هيستنانا على الطريق برة .

ما هى التسليمة ؟ ولماذا يخفض صوته هكذا ؟ ولماذا منتصف الليل ؟ , كلها اسئلة كانت تدور في ذهن (سلوي) قبل ان تسمع خطواته وهو يقترب من الباب للخروج من غرفته , أسرعت للابتعاد عن الباب واتجهت نحو غرفة (حامد) واغلقت الباب وراءها وهى تنظر لكلا من (حامد) و (سالم) وهى تقول :

- جهزوا نفسكم انتوا الاتنين انا عرفت هنعمل ايه بس المهم تسمعوا كلامي بالحرف .

****

تقف (مروة) أمام إحدي العمارات القديمة وكأنها متهالكة وهي تنظر لها بتعجب , لماذا قد يجعل محامي من هذه العمارة الكئيبة مكتبًا له ؟ , هدوء يسيطر على اجواء هذه العمارة ولكنها تسمع بوضوح صوت إحدي أغاني السيدة (ام كلثوم) .

صعدت (مروة) طابق واحد ثم نظرت علي يمينها لياقطة مكتوب عليها إسم المحامي ثم طرقت علي باب المنزل .

فتح لها شخص يرتدي بدلة سوداء ورابطة عنق حمراء وهو يرحب بها ويقول : مدام (مروة) ؟

هزت رأسها ثم دعاها للدخول بكل ترحيب .

بيت منظم وجميل ويعطي إنطباع مختلف عن الإنطباع المأخوذ عن شكل العمارة , ألوان المنزل كانت مريحة جدًا للعين , جلست (مروة) علي إحدي الكراسي المواجهه لمكتب المحامي الذي جلس خلف المكتب علي كرسيه ثم بدأ بسؤالها

عن مشروبها لتجاوبه بالرفض لكنه أصر لتستسلم وهي تقول :

- أي حاجه .

أحضر لها سريعًا كوب من الشاي وهو يقدمه لها بابتسامه وهي تشكره ثم تبدأ بالكلام وهي تقول :

- أنا عايزة جوزي يطلقني .

إبتسم وهو يرد عليها ويقول :

- تمام مفهوم أكيد , لكن لازم أعرف الأول الأسباب اللى دفعت حضرتك تاخدى القرار ده , لإني مينفعش أرفع قضية طلاق او خلع بدون سبب , أكيد إنتي فاهمه كده .

هزت رأسها بموافقته وهي تعتذر ثم أكملت :

- جوزي بيخونى , اكتر من مرة .

ثم أخذت رشفة من كوب الشاى الموجود أمامها ويداها ترتجف و تكمل:

- بيضربني كتير جدًا والضرب مع كل مرة بيبقى شديد جدًا .

صمتت قليلًا ثم أكملت :

- أنا كنت بحبه جدًا جدًا , من وإحنا صغيرين بنحب بعض , انا وهو ولاد عم وقرايب .

بدأت الدموع تسيل من عينيها وهي لازالت تُكمل :

- من يوم ما (يوسف) إبننا مات من سنتين و(شهاب) إتغير 180 درجة , بقي بيسكَر كتير ومضيع فلوسه على القمار والستات والخمرة , كل يوم يرجع متأخر أوي بليل وينام زي القتيل ويصحي كإنه فاقد الذاكرة , بقي شخص عصبي لدرجة ان العصبية

عملت منه وَحش , بيضربني كل ما ازعقله علي اللي بيعمله .

رد المحامي بهدوء وهو يقول :

- إهدي يا مدام (مروة) , كده الأسباب وضحت خلاص , متقلقيش انشاءالله دي هتكون أسباب كافية انك تفوزي في القضية .

ثم اخرج بعض المناديل واعطاها لها , ثم أكمل:

- الدعوة انشاءالله هرفعها قريب .

هزت رأسها بالموافقة وهي تقول :

- أرجوك , انا أملي كله فيك إنك تخلصني منه , أنا تعبت .

رد بابتسامه :

- متقلقيش الفوز هيبقي من نصيبك في القضية , القضية كمان مش هتاخد وقت وهيتحكملك بالخُلع

نهضت وهي تبتسم ثم صافحته ورحلت .

****

2014 م ..

العامرية

—

- كان لازم تكلمنى يا حاج (جابر) قبل ما تشيل الجثتين دول , الموضوع محتاج اجراءات كتير !

قالها الرائد (زياد) بغضب وهو يحادث الحاج (جابر) عندما أخبره بأنه يحمل معه فى السيارة جثتين إكتشفهما فى موقع العمل .

سادت لحظة من الصمت ثم اكمل (زياد) :

- إرجع تاني بالجثتين للمكان اللى لقيتهم فيه لأن في اجراءات كتير هتحصل و طبيعى هنستدعيك عشان الجثة ممكن تكون مرتبطة بجناية او جريمة قتل .

رد الحاج (جابر) بإرتباك :

- حاضر , حاضر يا (زياد) باشا .
- متقلقش انا هحصَلك على الموقع هناك , سلام دلوقتى.

اغل الهاتف الحاج (جابر) وهو يفكر في تسرعه الذي كاد ان يضعه في ورطة كبيرة رغم غضبه من طريقة (زياد الأسيوطي) في الكلام معه إلا أنه يعلم بأن غضب (زياد) طبيعى لخوفه عليه من وقوعه في ورطه .

استدار الحاج (جابر) بسيارته ليعود للموقع المشئوم و بداخله اسئلة كثيرة لكنه يعلم انه سيعرفها مع مرور الوقت .

****

(الساعه 6 مساءًا)

—

سيارات شرطة كثيرة تتواجد ورجال الشرطة يغلقون محيط الموقع وكأنها بالفعل جريمة قتل او حادثة , رجال البحث الجنائي والطب الشرعي كذلك يقومون بعملهم , سكان المنطقة بدا على وجوههم التعجب والخوف في نفس التوقيت وهم يراقبون ما يحدث ويتسائلون ماذا يحدث داخل بيت (سعيد المصري) ؟ . تم اخلاء الموقع من العمال تمامًا .

وصل الحج (جابر) بسيارته للموقع وكأنه يحمل معه مومياء الملك (توت عنخ أمون) و الملكة (حتشبسوت) .

كان وراءه (زياد) بسيارة شرطة ثم نزل من السيارة واقترب من سيارة الحاج (جابر) وهو يقول بوجه خجول وبهدوء :

- معلش يا حاج (جابر) متزعلش مني لو كنت إتعصبت عليك في التليفون , انا بس كنت خايف عليك لأن دي مش حاجه ساهلة ابدًا وكان ممكن تحصلك مشاكل كبيرة وكويس انك كلمتني .

ليرد الحاج (جابر) بوجه بشوش ومبتسم :

- انت زي ابني يا (زياد) متقولش كده .

أمر المقدم (زياد) بأخذ الجثتين الموجودون بحرص ووضعها بمكانها التى وجدت به حتى يستكمل البحث الجنائي والطب الشرعي اعمالهم ,

ثم قال (زياد) :

- معلش يا حاج إنت هتيجي معانا عشان في اسئلة لازم نسألها لحضرتك .

رد الحاج (جابر) وهو يومئ رأسه موافقًا و يقول :

- تحت أمرك يا (زياد باشا) .

قبل ان يرحل (زياد) ذهب لأحد رجال البحث الجنائي وهو يسأل :

- مين المسؤول من الطب الشرعي ؟

رد عليه النقيب (مينا سمير) وهو يشعل سجارته :

- الدكتور (سامح الوكيل) .

ابتسم (زياد) بسخرية وهو يقول :

- كملت .

إرتسمت إبتسامة إشفاق من النقيب (مينا) وهو يقول:

- الدكتور (سامح) دقيق جدًا في شغله .

نظر (زياد) للحظه ثم قال في سخط :

- بس معاملته سخيفة .

قالها وهو يقترب حيث يقومون بوضع الجثث الموجودة مكانها وهو ينظر حوله قبل أن تلتقي عيناه بعيني الدكتور (سامح) الذي ابتسم له بسماجه قبل ان يحول نظراته لإحدي مساعديه لإعطائه بعض التعليمات فزفر (زياد) في ضيق واقترب اكثر من (سامح) وهو يتمتم بصوت منخفض :

- الصبر يارب .

ثم سأله :

- في أى جديد ؟

اجابه (سامح) :

- مفيش جديد . لازم نجمع العينات كلها ونبعتها للمعمل عشان تتحلل قبل ما اديلك أى تفاصيل بس مبدئيًا الهياكل

العظمية دي مدفونه من فترة مش طويلة

.

اثار كلامه انتباه (زياد) فعاد يسأله :

- تقصد ايه ؟
- الجثث دي مدفونه من فترة مش طويلة ممكن تقول 7 او 8 سنين كده في تقديري وكلهم ماتوا تقريبًا فى فترة واحدة وده من حالة الهياكل اللى شايفها .

اخذ (زياد) يفكر للحظه ثم سأله :

- قدامك قد ايه وتقدم تقرير كامل عن القضية ؟

اجابه (سامح) :

- قدامنا أسبوع على الأقل عشان نحلل العينات ونحدد نوع الضحايا وكمان الوقت اللى اتوفوا فيه قبل ما نقدم التقرير النهائي للقضية .

هز (زياد) رأسه متفهمًا وهو يقول :

- عظيم جدًا لحد ما يجهز التقرير هنعمل التحريات .

ترك (زياد) الموقع متجهًا لسيارة الحاج (جابر) المُنتَظِر وهو يقول له :

- معلش يا حاج أسفين على التأخير.

إستقل الحاج (جابر) سيارته ومعه (مروان) نجله و المقدم (زياد) نحو مديرية الأمن .

****

الفصل الرابع

فخ مزدوج

يترقبوا ما يعرض عليه , الكل ترك ما في يديه وذهب لرؤية الذي يعرض في التلفاز . يبدو ان الخبر خرج للنور مرة اخرى والأيام القادمة ستحمل انباء سيئة معها .

2017 م ..

" السادة الأعزاء مشاهدينا , على جميع سكان الأسكندرية توخي الحذر لوجود سفاح طليق في شوارعها , عثر اليوم على شاب عمره يقترب من الخامسة والعشرون عامًا يدعى (مروان الصياد) مذبوحًا في منزله بمنطقة سيدي جابر بالأسكندرية بنفس أسلوب وطريقة جريمة الإسبوع الماضي في منطقة العامرية , وندعو من هنا لإتخاذ كافة الإجراءات الصارمة فور القبض على هذا السفاح "

كان هذا بيان من احدي القنوات التليفزيونية .

نظرته كانت بها إبتسامة خبيثة لما سوف توجهه هذه الرسالة من خوف واضطراب لأهل الأسكندرية جميعًا وللشرطة خاصَة . كان يرى ردود أفعال الناس حوله والخوف الذى يظهر على البعض والحيرة والتساؤل على البعض الآخر .

إرتدي قبعته ورحل من وسط الجمع المتابع لهذه الأخبار وهو لازال يبتسم .

****

القاهرة - 2003 م

—

- رايح علي فين يا بابا ؟

قالتها (سلوي) وهى لا تنظر لوالدها وهو يستعد للخروج , رد (سعيد) عليها وهو يوجه أنظاره إليها ويرد :

- وانتي من امتي يا (سلوي) بتسأليني انا رايح فين ؟
- مفيش بس من يوم ما خالو إختفي وانا بقيت بقلق عليك كتير يعنى .
- لا يا حبيبتي متقلقيش انا رايح انا و (حسان) مشوار.

إستمرت (سلوى) فى عدم النظر لوالدها وهى تكمل :

- ترجع بالسلامه يا بابا وخد بالك من نفسك .

لم يرد عليها (سعيد) وخرج واغلق الباب وراءه .

خرج (حامد) سريعًا فور سماعه صوت إغلاق الباب وهو يتجه لـ(سلوي) ويقول :

- يلا بسرعه قبل ما يرجع .

نهضت (سلوي) مسرعة وراء (حامد) واتجهوا نحو غرفة والدهم ليأتوا بمفتاح غرفة الضيوف ووراءهم (سالم) يراقب في حال عاد والدهم .

...

- حاسس ان الولاد بدأوا يشكو فيا يا (حسان).

قالها (سعيد) وهو ينظر للأرض ممسكًا بالشيشة لياخذ بعدها نفسا طويلًا منها وهو يخرج دخانًا كثيفًا , رد عليه (حسان) :

- هانت خلاص يا (سعيد) وهنستريح كلنا , العملية تكمل وكل واحد فينا يروح لحاله .

أومأ (سعيد) ثم نظر إلى يساره ويمينه ليسأل بعدها وهو يقترب برأسه من (حسان) عن غياب (بكري) الغريب وهو يقول :

- مش متعود (بكري) يعني يغيب او ميجيش يقعد معانا , أنا حتى كلمته ومردش عليا .

قالها وهو يضحك ويسحب نفسًا آخر من الشيشة ليخرج دخانًا كثيفًا .

نظر (حسان) حوله وكأنها نظرات خوف و إرتباك فبدأ (سعيد) يلاحظ ثم سأله :

- مالك يا (حسان) مش قاعد على بعضك من اول ما اتقابلنا ! إنت بتخون مراتك ولا ايه ؟

ليرد (حسان) وهو ينهض وهو لازال ينظر حوله :

- (سعيد) انا همشي دلوقتي عشان معايا مشوار مهم .

نظر (سعيد) له نظرة استعجاب ثم هز رأسه بالموافقه .

ماذا يحدث ؟ (بكري) لم يأتى والأن (حسان) رحل سريعًا ومن المفترض ان نتفق على ما سيحدث بعد يومين ! لا اعلم لماذا بدأ الشك يلعب لعبته المفضلة معى ! .

كانت كلها افكار واسئلة تدور داخل رأس (سعيد) قبل ان يترك الشيشة و بضعة جنيهات بجانبها على المنضدة ثم رحل .

****

- لقيته لقيته لقيته !

قالها (حامد) وهو يقفز فرحًا بعد أن وجد مفتاح غرفة الضيوف في احدي الأدراج وكان مخفيًا بطريقة غريبة تجعل من الصعب ملاحظته !

ظهرت الإبتسامة على وجه (سلوي) كذلك ولكن الفرحة لم تكتمل , أتى (سالم) وهو يجري عليهم ويقول :

- أبويا رجع أبويا رجع بسرعة يلا اطلعوا .

اندهش (حامد) و (سلوي) من العودة المبكرة والسريعة لـ(سعيد) . كان من المفترض عودته بعد ساعة او اثنين على الأقل ! .

اعاد (حامد) المفتاح بخيبة أمل ثم خرجوا سريعًا من الغرفة واتجهوا لغرفة (حامد) و(سالم) قبل ان يفتح والدهم باب المنزل .

دخل (سعيد) المنزل وهو ينظر يمينًا ويسارًا للتأكد من هدوء المنزل قبل أن يتجه لغرفته ليأتى بشئ ما داخلها .

اقترب من غرفة (سلوي) اولًا ثم فتح الغرفة لكنه لم يجد (سلوي) بداخلها مما طرح التساؤل بداخله فسلوي دائمًا ما تتواجد فى غرفتها في هذا التوقيت , ثم اقترب لغرفة (حامد) و(سالم) وفتحها ليجد (سالم) نائمًا على سريره و(حامد) كذلك ولكن المختلف ان (سلوي) تحتضن (حامد) وهي نائمة كذلك على سريره , لم يعير ما رآه أى إهتمام واغلق

الغرفة بهدوء قبل أن يتوجه لغرفته ليأتى بالمفتاح .

فتح (سعيد) غرفته وفتح إحدي الأدراج وامسك بالمفتاح وخرج وهو يتسلل بهدوء حتى لا يوقظ الأولاد ثم اقترب إلي غرفة الضيوف ثم فتحها بهدوء ودلف داخلها واغلق الباب وراءه بهدوء .

- حمدلله علي السلامة يا حبيبتى

قالها (طارق) فور وصوله هو و(مريم) للبيت الجديد بالأسكندرية ويبدو على (مريم) الإندهاش من منظر البيت وجماله وروعة موقعه , أخذت تحسس الأثاث وهى لازالت تنظر بدهشة بينما ينظر إليها (طارق) وهو يبتسم , نظرت إليه ثم سألته كأنها لا تصدق :

- احنا هنسكن هنا يا طارق !

رد (طارق) بسخرية :

- لا انا جايبك تتفرجي بس وهنمشي .

ثم أكمل وهو يبتسم :

- أكيد يعنى هنعيش هنا خلاص , إدعيلى ميجيش نقل ليا تاني بس والمرة الجاية تبقي في أسيوط ولا سوهاج.

نظرت (مريم) له نظرة غضب ولكنه ابتسم لها وهو يقول:

- متخافيش انا مش هبعد عنك وكل حتة هروحها هتبقي معايا فيها .

إرتاح بال (مريم) بعد ما قاله (طارق) وكأنه مخدر قوي جعلها تصدقه بسرعة .

رن هاتف (طارق) وهو يلعن غباؤه لعدم اغلاقه هاتفه حتى لا يزعجه أحد , وجد المتصل شقيقه (زياد) لكنه لم يجيب واغلق هاتفه .

تعجبت (مريم) ثم سألت :

- مين يا (طارق) ؟
- (زياد)
- طيب ما يمكن محتاجك يا حبيبي في حاجه .
- الأيام جاية كتير وهنتقابل .
- ماشي يا حبيبي زي ما تحب , أنا مش هضغط عليك.
- يلا روحي ارتاحي شوية وانا هنزل لبابا أشوفه فين عشان عاوزنى .
- طيب خلي بالك من نفسك .
- حاضر , يلا سلام .
- سلام

خرج (طارق) وهو يلوح بيده لزوجته ثم اغلق الباب ووقف ثم وضع يده فى جيبه وأخرج محفظته ثم نظر لإحدي الصور الموجودة بمحفظته وكادت عينيه تدمع ولكنه أغلق المحفظة سريعًا ورحل .

****

2014 م ..

مديرية أمن الإسكندرية

——

يجلس الحاج (جابر) مرتبكًا بعض الشئ من التحقيقات التى ستحدث معه بعد قليل , يدخل الرائد (زياد) وفي يده سيجارة وكوب القهوة الخاص به ثم أغلق الباب وراءه وهو يقول :

- **معلش يا حاج (جابر) على التأخير . تشرب ايه ؟**
- **ولا أى حاجه يا (زياد) باشا , ربنا يخليك .**
- **طيب أنا هسألك شوية اسئلة بس وتقدر بعدين تقوم تروَح , اتفقنا ؟**
- **تمام يا (زياد) باشا .**

عدل زياد وضعيته على الكرسي وهو يسأل الحاج (جابر) ويقول:

- إسمك ؟
- (جابر عبد السلام سعد) .
- إمتى إشتريت الأرض دي يا حاج (جابر) ومين باعهالك ؟
- إشتريتها من حوالى 8 شهور والبيت ده زي ما كنت حضرتك شايف هيتهد وهيتبني من الأول تانى , كان بيت قديم والورثة كانوا مقررين إنهم هيهدوا البيت وهيبنوه من الأول تاني .
- مين الورثة دول ؟
- معرفهمش كلهم أنا كنت بتعامل مع واحد بس وكيل عن الباقيين .
- إسمه ايه ؟
- هو محامي ساكن في سيدي جابر إسمه (حامد على)

أمسك (زياد) قلمًا ودوَن الإسم والعنوان في ورقة ثم عاد ليسأل الحاج (جابر) :

- ايه معلوماتك عن البيت يا حاج (جابر) ؟

- كل اللي أعرفه إن العقار مش قديم أوي بس كان مقفول وإن الورثة قرروا يهدموه ويبنوه من الأول تاني .
- يعني البيت كان مقفول ؟
- ده اللي أعرفه يا (زياد) باشا . حتى الورثة حضرتك أنا مشوفتهمش ولا مرة , دايمًا بتعامل مع أستاذ (حامد) بس فى كل مرة .

أعاد زياد ظهره للوراء وهو ينهي التحقيق مع الحاج (جابر) ويعتذر له عن إطالة الوقت معه وهو يقول :

- ماشي يا حاج إحنا خلصنا خلاص وأسفين لو طولنا عليك لكن خليك عارف إن الموقع حاليًا الشغل فيه هيقف لغاية ما التحقيقات تخلص وبعدين تقدر تكمل شغلك مرة تاني في البيت ده .

قام الحاج (جابر) وصافح (زياد) وهو يقول :

- أتمني يا زياد باشا إن محدش يعرف لإن الخبر لو إتعرف ممكن يبوظ المشروع كله .
- متقلقش التحقيقات هتبقي في كامل السرية يا حاج .

تنهد (جابر) وهو ينهض و يقول :

- لله الأمر من قبل ومن بعد . سلام يا باشا
- سلام يا حاج .

أشعل زياد سيجارة أخري وهو يفكر فى الإسم الذى دوَنه فى ورقته ثم طرح على نفسه سؤال , لماذا يتعامل شخص واحد نيابَة عن البقية , الحاج (جابر) أكد كذلك أنه لم يرى الورثة ولا مرة ولم يرى إلا هذا المحامى فى كل مرة يتقابلون بها ! .

لحظات وفتح المقدم (مصطفي) الغرفة ودخل وهو يسأل :

- مفيش جديد يا (زياد) ؟

- لا , بس إداني معلومه عن اللى إشترى منه . إسمه (حامد على) وعنوانه . مفيش جديد عن الصندوق ؟
- الصندوق بيتعمله فحص حاليًا وأول ما يخلص هنبدأ نفتحه .

أوما رأسه متفهمًا ثم صمت للحظه بعدها وجه نظراته لـ(مصطفى) وهو يسأله :

تفتكر أن ممكن حد من الورثة كان عارف إن الصندوق والجثتين دول موجودين ؟.

ثم سكت قليلًا وبعدها قال :

- أكيد في حاجه وراهم ولازم نعرفها , بكرة هتحرك واروحله وانشاءالله خير .

أومأ (مصطفي) رأسه بالرفض وهو يقول :

- لا خليك انت , انا هروحله بكرة .

رد (زياد) بالموافقه وهو يقول :

- ماشي يا (مصطفي) .

سأل بعدها (مصطفي) :

- مفيش أخبار عن (طارق) ؟
- من سعة ما وصل هنا وانا بحاول أكلمه وهو مش راضي يرد عليا . هحاول بكرة أقابله .
- متقلقش , انشاءالله تتصالحوا وتبقوا كويسين.
- انشاءالله . هقوم أنا عشان أروَح عشان تعبت إنهاردة , تصبح على خير .
- وانت من اهله .

****

غرفة مظلمة , رائحتها تشبه رائحة الموت , كل من يدخلها سينعل اللحظة التى دلف بها لهذه الغرفة . (سعيد الجمال) متواجد داخل الغرفة , تتسارع نبضات قلبه وهرمون الأدرينالين بدأ في الإنتشار في كافة أرجاء الغرفة . يداه ترتجف من الخوف ,

أشعل الأضواء وهو ينظر لكل ركن داخل الغرفة , جلس على إحدي الكراسي الموجودة بالغرفة وهو ينظر لأرضية الغرفة وكأنه يتأمل نظافتها السريعة من دماء (سعد الطحان) , نظر علي جانبه الأيسر نحو احدي الدواليب الموجودة ونهض ليقترب منه وهو يتأمله , نظر لإحدي المفاتيح الموجودة معه وهو يفتح الدرج الأيمن من الدولاب وهو ينظر ووجهه تظهر عليه ابتسامه خبيثة لشيء موجود أمامه , صندوق رمادي ممزوج بالأسود وعليه نقوش أشبَه بالنقوش الفرعونية القديمة . كانت عيون (سعيد) تلمع والإبتسامة بدأت تزداد وملامح وجهه تتغير للشر , فتح (سعيد) الصندوق ليجد ثلاثة تماثيل فرعونية قديمة ممتلئة بالذهب , أخرج (سعيد) إحدي التماثيل وهو ينظر إليه بفرحة وهو يقول :

- معقول إنت هتجيبلي إتنين مليون جنيه ؟ . من ساعة ما لقيناك وجيبناك من البيت إياه وإنت مفيش حد حابب

يشتريك , كل واحد نقوله عليك يقولنا نرميك إنت وباقى التماثيل والصندوق بسرعه , معرفش ليه المجانين دول بيقولوا كده !

- وسط إهتمام (سعيد) بالأشياء التي أمامه قاطعه صوت خطوات مسموع بشكل واضح خارج الغرفة , أغلق سعيد الصندوق سريعًا ووضعه كما كان وأغلق الأضواء وخرج بهدوء من الغرفة , نظر حوله لكنه لم يجد أثرًا لمن كان يسمع خطواته بوضوح , هل كان يتخيل ؟ بالتأكيد ليست لعنة الفراعنه ! , دخل (سعيد) غرفة (سالم) و(حامد) ووجد أن الأطفال و(سلوي) غارقين في نومهم , وجد (سعيد) أنه بحاجه للراحه لإنه بدأ يتخيل أشياء غير منطقية , دخل (سعيد) لغرفته وألقي بجسده على سريره , بدأ يفكر فى سر الخطوات المسموعه كانت

بوضوح خارج الغرفة , من يتصنت عليه إذا كان أولاده جميعًا كانوا غارقين فى النوم , بدأ (سعيد) يشعر بثقفل فى جفونه حتي نام نومًا عميقًا .

يُفتح باب غرفته ببطئ شديد وبهدوء , يقترب منه بهدوء شديد ليلتقط شيئًا ملقي بجانب (سعيد) , شعر (سعيد) بسخونه شديدة تقترب منه لكنه لم يفتح عينه وأكمل نومه ولم يعير ما شعر به أى اهتمام , إلتقطه ثم خرج سريعًا واغلق الغرفة وراءه بهدوء.

****

قبل ساعه واحدة ..

سيارة بيضاء تقف أمام منزل موجود على جانب الطريق , هبط منها رجلان يرتديان ملابس نظيفة ومنظمة للغاية , (حسان) و (بكري) ينظران للتأكد من خلو الطريق من أي شخص ليقتربا من المنزل ويقرَع (حسان) الباب ليفتح لهم شاب في منتصف

شبابه و يرتدي نظارة وفور رؤيتهم بدا على وجهه التعجب ثم أدخلهم للمنزل وأغلق الباب وراءه .

جلس (حسان) و(بكرى) على كرسيان مقابلان لأريكة كبيرة يجلس عليها الشاب ثم بدأ (حسان) بالكلام وهو يقول :

- (سعيد) بدأ يخاف ويترعب , من ساعة ما (سعد) إكتشف موضوع التماثيل و قتله وهو خايف من الشرطة ودايمًا بحسه عايز يأجل العملية أو يلغيها خالص .

نظر لهم وهو ينهض ليذهب لإحدي أركان الغرفة ليأتى بكأس من الخمر وهو يتكلم ويقول :

- إنتوا اللي أصريتوا إنه يدخل معانا في العملية , الخواجه مش هيصبر أكتر من كده وإنتوا عارفين كده , انا لو عليا هقتله دلوقتي بسبب اللي عملوه عيلته في عيلتى , لولا بس قعدة الصلح اللي بين عيلتنا وعيلة (الجمّال) .

أمسك بعدها بسيجارة وهو يشعلها ويسحب نفسًا منها ثم يكمل:

- الـ13 سنة دول قاعد محروق قلبي على رجالة عيلتى اللى راحت من كلاب (الجَمَّال) في اليوم ده .

ثم إبتسم وهو ينظر لهما ويكمل :

- أينعم أنا كمان مبسوط جدًا إن أغلب عيلته راحت في اليوم ده وحظه إنه مكانش موجود معاهم بس اتنين من عياله كانوا موجودين وفلتوا من الموت هما وبنتين كمان .

عاد للخلف وهو يأخذ نفسًا عميقًا أخر من السيجارة وهو يكمل وعيناه بدأت تضيق :

- بس الغريب إن رجالتنا اللى فلتت فى اليوم ده بيقولوا إنهم اتفاجئوا لما وصلوا بضرب نار تقيل جدًا لدرجة إن خمسة من

رجالتنا إتقتلوا فى ضربتين , ولحد دلوقتى مش فاهم إزاى دخلوا المكان لقيوا في ستات وأطفال بس اللى إتقتلوا ومفيش أثر لراجل واحد حتى ! , مهو مش معقول ستات تضرب نار بالإحترافية دي , بعد كده مين اللى قتلهم اذا كنا إحنا بنضرب نار فى الدور التانى وجثث الأطفال والستات دول لقيوهم فى الدور الأرضي ! , ده غير إنهم قالوا إن مفيش ولا سلاح نارى لقيوه في البيت فى اليوم ده , بعدين الستات دي إتقتلت إزاى حتى ؟

قاطعه (بكرى) وهو يقول :

- أكيد ناس قطاع طرق او عيلة عاملين معاها مشاكل.

قاطعه ونبرة الغضب تظهر على وجهه ويشير بإصبعه وهو يقول :

- عيلة (الصياد) ملهاش غير عداوة واحده بس كانت مع عيلة (الجَمَّال) .

أعاد ظهره للخلف ثم أخذ نفسًا آخر من السيجارة ثم أكمل:

- البيت ده وراه سر ومش سر عادى كمان .

أخذ رشفة من كوب الخمر وهو يكمل :

- أنا عايز أخَلص على نسل (الجَمَّال) كله والصراحه عملية التسليمة دي مفيش أحسن منها عشان أكمل انتقامي القديم منه وأبقي خلصت على عيلة (الجَمَّال) كلها , ده غير ولاده طبعًا .

رد (بكري) وهو ينهض من مكانه ويقول :

- العملية في معادها ومش هتتأجل او تتلغي , نخلص منها وكل واحد يعمل اللى عاوزوا , (سعيد) لو خوفه زاد هيبوظ العملية كلها .

رد بغضب وهو ينظر لـ(بكري) :

- العملية بكرة يا (بكري) ! , إحنا لسة هنستني خوفه يزيد !

ثم صمت قليلًا وهو ينظر لـ(بكري) ثم قال :

- في فكرة حلوة جدًا , لو إتنفذت صح أضمنلكم إن العملية هتنجح , إسمعوني كويس بقي .

****

صباح اليوم التالي ..

(سلوي) تبحث في كل مكان لكنها لا تجد ما تريده , أين المفتاح؟ , من المفترض أنه موجود هنا بالغرفة ! , (حامد) كذلك فقد الأمل وهو يقول :

- مش موجود هنا برضو .

جلست (سلوي) على سرير والدها وهي تحاول أن تتذكر أين المفتاح . دخل (سعيد) سريعًا الغرفة وهو يقول :

- ها يا ولاد لقيتوه ولا لسة ؟

هزت (سلوي) رأسها وهي تقول :

- لا يا بابا مش موجود هنا .

جلس سعيد على سيره ووجهه يتحول للغضب :

- إزاي ! إزاي ! , المفتاح كان معايا إمبارح وانا فاكر إنه كان هنا في الأوضه .

ثم نظر بتأمل نحو (حامد) وهو يرمقه بنظرات غريبة ومخيفة ثم نهض وخرج من الغرفة .

نظرت (سلوي) نحو (حامد) وهي تسأله :

- حامد ؟

قاطعها (حامد) قبل أن تُكمِل وهو غاضب :

- لا ! لا! , بطلوا بقي تشكوا فيا , كفاية !

ثم خرج مسرعًا نحو غرفته وأغلق الباب وراءه .

****

إستيقظ علي الصوت المزعج لأحدٍ ما يدق علي بابه . نظر للساعه ليجدها الثامنة صباحًا , نهض لكي يفتح الباب ليجد (سعيد) في قمة الغضب وهو يدخل ويصيح بصوتٍ عالٍ :

- إلحقني يا (حسان) , مفاتيح الأوضة اللى فيها التماثيل ضايعين مني ومش لاقيهم , خايف يكون حرامي دخل البيت وسرقهم !

.

- وطي صوتك ! , إنت مجنون ! , الناس هتسمعنا ! , إزاى يعني إتسرق منك المفتاح ؟ . الأوضة لقيتها مقفولة ولا مفتوحة ولا إيه ؟
- لا الأوضة كانت زي ما هي مقفولة !

- يبقي إزاي حرامي يا (سعيد) ؟ , لو حرامي هيسرقك ويرجع الأوضة مقفولة ليه ؟

ثم أكمل وهو ينظر بطرف عينه و يقول :

- إلا لو كان حاجه تاني بقي .

نظر (سعيد) بتعجب ثم سأل (حسان) :

- تقصد ايه يا (حسان) ؟

رد (حسان) وهو يقول :

- يعني أكيد حد من جوة البيت بيلعب معاك يا (سعيد) وحابب يهزر معاك شوية . !

نظر (سعيد) لـ(حسان) وهو يتذكر كيف لم يخطر بباله البحث في غرف أولاده الثلاثه , أنكر في البداية ولكن ما يقوله (حسان) صحيحًا فـ(حامد) يعرف جيدًا أن هناك شيئًا غير طبيعيًا داخل الغرفة منذ آخر مرة شاهد فيها خاله (سعد)

مقتول , من الممكن أن يكون أخبر (سلوي) وهم الآن يستغلون عدم تواجده بالمنزل لكي يكشفوا ما بداخل الغرفة ! , قاطع حبل تفكير (سعيد) صوت (حسان) وهو يقول :

- المفتاح تلاقيه قبل إنهاردة بليل يا (سعيد) وإلا هنتضر كلنا يا أخويا , سامعني ؟

قام (سعيد) وهو يحمل علي وجهه كل علامات الغضب والإنكار بينما وجه (حسان) كانت عليه ابتسامه خبيثة وهو يترقب خروج (سعيد) من المنزل غاضبًا بينما يمسك هو هاتفه ويحادث شخصًا آخر ويقول :

- كله تمام خلاص , نفذوا أول خطوة .

ثم اغلق الهاتف وهو يبتسم .

****

2014 م

سيدي جابر

إحدي الشوارع القديمة في منطقة سيدي بشر , منازل قديمة وألوانها تكاد تقترب من الأسود المحروق , وقف المقدم (مصطفي) امام إحد البيوت وهو يتأملها جيدًا ويتأمل يافطة كبيرة مكتوب عليها : (حامد على .. محامي في النقض) , ثم نظر إلي مدخل العمارة وهو يتأملها , سلالم قديمة ومتهالكة , لا توجد أضواء وكأنك بداخل ظلام دامس , الرائحة كذلك كانت مقززة ولا تُحتمل , اشعل (مصطفي) الكشاف الخاص بهاتفه وهو يتحسس خطواته حتي لا يصطدم بأي شئ امامه , بدأ يسمع بوضوح مقطع شهير من إحدي أغاني السيدة (ام كلثوم) قادم من إحدي الطوابق :

رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا

, علموني أندم علي الماضي وجراحه ,

اللى شوفته قبل ما تشوفك عنيه ,

عمر ضايع يحسبوه إزاي عليا .

للحظة كان (مصطفي) مشدودًا للغاية لحبه الشديد للسيدة (أم كلثوم) وأغانيها التى تسحبك كالمغناطيس تجاهها .

إستفاق (مصطفي) على صوت رجل يرتدي بدلة سوداء برابطة عنق حمراء ويرتدي نظارة طبية وهو يحادث (مصطفي) ويقول :

- **أيوة يا فندم , حضرتك عايز حد ؟**

يستفيق (مصطفي) فجأه من انتشائه بألحان وكلام (ام كلثوم) وهو يقول :

- **ها ؟ , حضرتك كنت بتقولى حاجه ؟**
- **أيوة كنت بسألك اذا كنت جاى لحد من هنا ؟**
- **أه كنت جاى لأستاذ (حامد) المحامي .**

ينظر الرجل له نظرات كلها حذر وهو يقول :

- عايز منه إيه ؟
- كنت عايز الأستاذ (حامد) في موضوع . تقدر تقولى هو مكتبه فين ؟
- انا الأستاذ (حامد) واليافطة أهى مكتوب عليها إسمي .

ينظر (مصطفي) ليافطة يكاد يُجزم أنها ظهرت للتو الآن . ثم عاد لينظر لـ(حامد) وهو يقول :

- اه معلش نسيت أعرفك , انا المقدم (مصطفي الدسوقي) من مباحث قسم شرطة العامرية .

إبتسم (حامد) وهو يصافح (مصطفي) ثم طلب منه الدخول.

جلس (مصطفي) على احدي الكراسي الموجودة بينما يسأله (حامد) عن مشروبه وهو يقول :

- معلش السكرتيرة مش موجودة انهاردة , تشرب ايه سيادتك ؟

يرد (مصطفي) بإبتسامة :

- أى حاجه يا استاذ (حامد) .

لحظات وأحضر (حامد) كوب من عصير الفراولة وهو يقدمه بإبتسامه .

اخذ (مصطفي) الكوب وبدأ بأخذ بعض الرشفات من الكوب وهو يقول :

- كنت جاى اسأل حضرتك كام سؤال وهمشي علطول .

رد (حامد) :

- إتفضل سيادتك .
- ايه معلوماتك عن بيت (سعيد المصرى) ؟

إبتسم ثم رد وهو يضع قدمًا فوق الأخرى :

- البيت ده أنا قتلت إتنين فيه حضرتك .
- نظر (مصطفى) بدهشة وإتسعت عيناه بينما يكمل (حامد) :
- متقلقش حضرتك , أول ما تصحى من النوم هتكون ناسى اصلًا إنك قابلتنى , بس أنا برضو هسيب معاك تذكار صغير .

بدأ يشعر (مصطفي) بالدوار والدوخه وكأنه يفقد الوعى ثم أمسك برأسه وهو ينظر لـ (حامد) الذي ظهر على وجهه ابتسامة غريبة وهو يسأل :

- إنت حطيتلي ايه في العصير !

نهض (مصطفي) وهو يصطدم بكل شئ حوله ليتجه للباب لكنه لم يصل ثم سقط على الأرض مغشيًا .

أخذ (حامد) رشفة من كوب عصير الفراولة وهو يقول :

- احلام سعيدة يا (مصطفي) بيه .

ثم إبتسم وهو يكمل كوب العصير الخاص به .

****

2003 م .. القاهرة

يمشي بخطوات سريعة للغاية , يالهم من مخادعين , لقد خدعوني بكل تأكيد , (سعيد) يحمل بداخله ثلاثة أضعاف الغضب الطبيعي , مَن مِن الثلاثه إستطاع أن يخدعني , هل هو (سالم) ؟ , قطعًا لا فـ(سالم) صغير السن ولا يعلم أى شئ بأمر هذه الغرفة وما بداخلها , هل هي (سلوي) ؟ , لما لا ؟ , فـ(سلوي) أصبحت تصرفاتها غريبة في الآونة الأخيرة ! . او هذا الثعبان الصغير (حامد) , هو الذي يعلم بكل شئ منذ هذه الليلة الملعونه , لكنه لا يعلم بأمر التماثيل ! , تسارعت ضربات قلب (سعيد) وكأنه يسابق الزمن قبل إنكشاف ما إستطاع تخبئته لسنوات , هو يعلم أن كل من إكتشف أمر التماثيل كان مصيره الموت , (سعد)

الأخرق الذي هدده بكشف أمره وإنتهي الأمر به جثة متعفنه لا أحد يعلم مكانها , لم يكن (سعد) الوحيد الذي كان يهدد بكشف كل شئ فا هناك أمر آخر سيظل مدفونًا معي حتي أنفاسي الأخيرة ! .

وصل (سعيد) للمنزل وامسك بمفتاحه وهو يسابق الوقت , المنزل هادئ لكن هذا الهدوء لم يطفئ نار الغضب المتضاعفه داخل (سعيد) الذي أصبح يتوعد بالموت لكل من يكتشف الأمر ! , هرع نحو غرفة (سالم) و (حامد) وفتحها بقوة لدرجة أن الخوف والهلع تملكهما .

قال بصوت خفيف ممزوج بنوع من الغضب :

- المفتاح يطلع حالًا . محدش يخاف !

ثم تحولت نظراته لـ(حامد) بغضب شديد وهو يقول :

- إنت يا (حامد) اللي خدت المفاتيح ؟ , متخافش مش هعمل حاجه .

هز (حامد) رأسه بالرفض وهو يقول والدموع بدأت تسيل من عيناه ويقول:

- مأخدتش حاجه !, مأخدتش حاجه !

نظر (سعيد) لأرجاء الغرفة سريعًا وهو يطلب من الولدان النهوض والخروج من الغرفة , نظر (سالم) لـ(حامد) وهو خائف لكن (حامد) نظر له نظرة كلها اطمئنان حتي يطمئنه والدموع تسيل من عيناه جعلت (سالم) يطمئن وهو يخرج من الغرفة .

....

بعد مرور ساعه ..

خرج (سعيد) من الغرفة التي لم تصبح غرفة بعد ما فعله , أصبحت كالقمامة او قطعة الخردة عديمة الفائدة , نظر لـ(حامد) وكأنه يقول :

- هربت من مقصلة الإعدام يا (حامد) .

رغم ذلك كان (سالم) متوترًا للغاية وتعتليه نظرات كلها خوف ممزوجة بالتساؤل , لاحظ (سعيد) حركة يد (سالم) المتوترة ولكنه لم يعيرها الى اهتمام . وجه انظاره لغرفة (سلوي) وهو لازال تعتليه نظرات الغضب وكأنه تأكد مَن الذي أخذ المفاتيح , إقترب من الغرفة ولكن رغم غضبه كان يرفض حقيقة أن من الممكن ان تكون (سلوي) هي الأفعي التى تسرق . !

فتح باب الغرفة بهدوء ليجد (سلوي) نائمة بهدوء ملائكي , نظر لها وبداخله الأن اصبح وحشً كاسر يسيطر عليه الغضب الأعمي . بدأ في البحث داخل الأدراج ولكنه لم يجد شيئًا , إستيقظت (سلوي) علي صوت ضجيج فتح وغلق الأدراج وهي تتسائل عن مصدر الصوت لتجد والدها يدير ظهره ويبحث بسرعه كالمجنون .

عدلت (سلوي) من وضعيتها ونهضت وهي تسأل والدها عن ما يبحث لكنه لم يعيرها الإنتباه وكأنه لا يسمعها .

فتح إحدي الدواليب وتوقف فجأه في مكانه واتسعت عيناه وكأنه أصبح كالتمثال حتي (سلوي) تسائلت عن سبب توقفه فجأه هكذا . ظل حوالي دقيقة واقفًا في مكانه ينظر إلى شيئًا امامه جعله يتسمر .

****

(خبر من إحدي القنوات التليفزيونية)

" تم العثور صباح اليوم علي جثة شاب داخل منزله في منطقة العامرية بالأسكندرية مذبوحًا يُدعي (شهاب الصياد) يبلغ من العمر ثلاثة وعشرون عامًا و لازالت تبحث الشرطة عن الفاعل"

****

الفصل الخامس

مجزرة المعصرة

(خبر من جريدة المصري) ...

" مقتل اكثر من إثنان وعشرون شخص من بينهم نساء وأطفال ورجال في مجزرة علي إحدي البيوت على الطريق المؤدى للقناطر . "

****

قبل 13 سنة ...

1990 م - القاهرة

—

داخل قرية (الهاشمية) بالقناطر كان الصراع علي أشده بين عائلتي (الصياد) و (الجَمَّال) , ربما تراه صراعًا مضحك بعض الشيء في البداية , ففي بداية العام السابق قامت إحدي نساء (الجَمَّال) بإتهام إحدي رجال (الصياد) بأنه غشها عندما باع لها بعض الطيور المريضة عن قصد .

في البداية كانت هذه الأمور تافهه لا يلتفت إليها أي من العائلتين , ولكن تُبني الجبال من الحصى , فبسبب هذا الحادث التافه زاد غضب العائلتين وزادت معها المشاحنات ووصلت إلى الشجار بالأيدي ثم بالأسلحة البيضاء , ظل الكره والعداوة قائمًا بين العائلتين لمدة خمسة أشهر يقوم بينهم الشجار على أتفه الأسباب , قد تصل أن ينظر أحدهم للأخر ثم ينتقل الأمر لمرحلة " لقد شتم والدتي في سره " ! .

سمع الأهالي في يومً من الأيام صوت إنطلاق طلقات نارية وإنتشر الخبر أن رجال من عائلة (الجَمَّال) هاجموا رجلًا من عائلة (الصياد) وقتلوه . لم يكن معروف مَن الذين هاجموا رجل عائلة (الصياد) ولكنهم أخذوا تلك الحادثة أنها من تدبير وتنفيذ عائلة (الجَمَّال) ويجب الإنتقام ولكن الإنتقام مِن مَن ؟

لذلك إفتعلوا مشاجرة عن قصد في يوم من الأيام وانطلقت رصاصة من أيد خفية داخل المشاجرة

لتصيب أحد رجال (الجَمَّال) لتشتعل المشاجرة ويبدأ الرصاص ينهال من كلا الجانبين . انتهت المناوشات بعد دقائق من الإطلاق الكثيف للنيران , لكن بتلك الحادثة بدأ الصراع الحقيقي بين العائلتين , محاضر النيابة كان لا حصر لها من العائلتين ولذلك كانت الشرطة لا تستطيع القبض إلا على القليل بينما يهرب الآخرون وخاصة أن نقطة الشرطة الموجودة بالقرية لا يمكنها مطاردة الهاربين او حتي إحكام سيطرتها على القرية , فهي في الأصل شقة قديمة إيجار قديم مكونة من طابق واحد لا يوجد بها إلا إثنين من الضباط وثلاثة من العساكر التى تنحصر مهمة أحدً منهم على رش الماء أمام النقطة لترطيب الجو كي يتمكن الضابطين من الجلوس في الهواء الطلق .

لذلك إنتشرت المناوشات بشدة وقُتل أربعة من رجال (الصياد) و ثمانية من رجال (الجَمَّال) وإصابات لا عدد لها . حتي تم في يومًا من الأيام ما

يشبه بمعاهدة صلح بين العائلتين بمساعدة من بعض العائلات في القرى المجاورة .

لكن بعد أربعة أشهر حدث ما كان يتوقعه الجميع ..

*****

داخل منزل الحاج (سعد) كان من المقرر أن يجتمع بعض رجال العائلة الذي راسلهم الحاج (جعفر) للقدوم وتناول الغداء , نزل الحاج (جعفر) للشقة في الطابق السفلي حيث سيجلس بها الجميع وجلس علي أريكة بإحدي الأركان المخصصة للضيوف , كان يفكر كثيرًا قبل دعوة رجال العائلة , كان يفكر في مستقبل عائلته وما حدث لهم الفترة الماضية ومنافستهم لعائلة (الصياد) , كان التفكير يهاجمه من كافة النواحي بينما أحس بثقل جفونه , فكر أنه لا ضرر من أخذ غفوة قصيرة قبل الغداء .

كان مستسلمًا للنوم حتي يتوقف التفكير قليلًا عن ملاحقته , لكي يجد نفسه سريعًا داخل حلم .

كان علي عِلم بأنه داخل حلم لكنه لم يكن يستطيع التحرك او التحكم بأي شئ , لذا ترك نفسه تتحرك وهو يتأمل الحلم .

إحدي الشوارع الخالية وكأنها مهجورة تمامًا من الأرواح الحية , يرى أشخاصًا يعرفهم , أحد أبناءه يتشاجر مع (سليمان) أكبر أبناء كبير عائلة (الصياد) , إبنه يكيل لـ(سليمان) باللكمات و الركلات العنيفة حتى تورم وجه (سليمان) الذي سقط أرضًا , أحس (جعفر) بالفرحة والفخر بينما يرى إبنه يلقن إبن (الصياد) درسًا بل ويكسر إحدي قدميه . إختفي المشهد كله وظهر (سعد الصياد) والد (سليمان) وهو يقترب ويقول بصوت حزين:

- أنا موافق علي الصلح يا (جعفر) , الدم لازم يتحرم ويقف بين العيلتين , انهاردة إبني كان هيضيع بكرة ممكن إبنك يضيع .

إختفي (سعد) من الحلم فجأه وسمع (جعفر) صوت حفيده (كامل) وهو ينادي قائلًا :

- جدي , قوم يا جدي أعمامي وصلوا .

فتح (جعفر) عينيه ليجد (كامل) يقف أمامه وهو يهزه بلطف , مسح علي وجهه وإعتدل وهو يقول :

- خليهم يدخلوا , وجهزوا الأكل بسرعه .

****

الرجال يجلسون حول (الطبلية) علي الأرض ويتناولون الطعام ومن وقت لأخر تأتي إحدي نساء المنزل لتلقي نظرة خاطفة إذا إحتاج الرجال دلوًا من الماء او قطع من اللحم او الدجاج , حتي فرغ الرجال من تناول الطعام ليقوموا بغسل أيديهم ثم إتجهوا لغرفة أخرى من الشقة الضخمة ليجلسوا على الوسائد يدوية الصنع على الأرض .

أما نساء المنزل فقاموا برفع الأطباق من علي (الطبلية) وإستعدوا لعمل الشاى وتسخين الفحم للشيشة التي سيطلبها كبير العائلة .

ستة رجال أشكالهم تتباين بين مرتدي الجلباب والقميص والسروال , وتتباين أعمارهم بين العشرينات والثلاثينات والأربعينات , أما الرجل السابع فكان اكبرهم سنًا وأكثرهم هيبة فكان يرتدى جلباب لم يقلل من هيبته كما لم يقلل صغر جسده من منظره المهيب ووجهه الذي مازال يمتلئ بالحيوية والقوة والنشاط برغم عمره الذي تجاوز الستون بسنوات .

إنه كبير عائلة (الجَمَّال) الحاج (جعفر الجَمَّال) يجلس بين بعض رجال عائلته او المقربون منهم بمعني آخر , والمنزل الذى يجلسون فيه هو منزله المكون من أربعة طوابق لأبنائه وبناته كي يقيموا معه بعد زواجهم , كان رجلًا ذو هيبة وإحترام في القرية لم ينافسه فيها إلا (سعد الصياد) كبير عائلة (الصياد) والذي لم يحتك أبدًا معه قديمًا في أى مشكلة فكل منهما يعرف القوة الشديدة للآخر المتمثلة في العائلة وكأن لكل منهما جيشًا يفتخر به .

الحاج (جعفر) أخبر الرجال بضرورة إجتماعهم علي الغداء بعد صلاة العصر في (المضيفة) وهي شقة بالطابق الأرضي للمنزل والتى يحتمع بها أفراد العائلة لتناول الطعام , يستضيفوا بها كذلك الضيوف مثل فكرة (المندرة).

جلس الحاج (جعفر) أمامهم على الأرض بعد أن دخل الجميع غرفة الجلوس وتربعوا علي الأرض متكئين علي الوسائد الضخمه وامامهم الحاج (جعفر) يجلس وهو يمسح يده من الماء في المنشفة وهو ينظر لهم ويقول ما شاهده فى الحلم وهو يوزع نظراته عليهم , الأحداث التى رأها فيه هى الحل لكل المشاكل التى تحدث للعائلة , لكنه لن يخبرهم بالطبع بأنهم سيتحركون بناءًا على حلمه , إعتدل وهو يقول :

- (كريم) إبن (فريدة) اللي شغال في ورشة ميكانيكي في أول الطريق , صاحب الورشة طرده عشان غلط فى تصليح حاجه فى عربية وبوظها .

رد عليه أحد الرجال قائلًا بإستغراب :

- إيه المشكلة يا حاج ؟ , نجيبله شغل تانى مش مشكلة.
- المشكلة إن الميكانيكى وهو بيطرده قاله مشوفش وشك هنا تانى لا إنت ولا أى حد من عيلتك النحس , الواد قاله متشتمش أهلي قام قاله أهل مين يالا هما (الجَمَّال) يبقوا أهل ؟ , دول شوية عيال بتزعق على الفاضي .

إشتعلت النيران في أعين الرجال وبدأ الغضب يشتعل بداخلهم .

ثم قال الحاج (جعفر) مكملًا :

- العيب مش على صاحب الورشة , هقولكم علي حاجه تانى , من كام يوم جيه (محمود) إبن (ألاء) بنتى وهو بيعيط وبيقولى وهو بيلعب مع العيال في الشارع إتخانق مع واحد قام قايله يا ابن (الجَمَّال)

اللي بياكلوا على قفاهم , وشوية الموضوع إتقلب تريقة والعيال زفوه , مش كده وبس لا ده الموضوع وصل لشغلنا وتجارتنا , التجار بقوا بيبصولنا بقرف و إستهتار ووصلت إن فيهم اللي بيعمل نفسه بيهزر ويمد إيده على حد من الصبيان بتوعنا .

سمع الجميع صوت باب الشقة يفتح وتدخل فتاة صغيرة تحمل صفحة كبيرة عليها أكواب شاي بجانب طبق كبير به سكر وملاعق وتتبعها فتاتان تحملان كل منهما شيشة وفي اليد الأخرى طبق من الفخار يمتلئ بالفحم المشتعل , سكت الرجال حتي وضعت الفتيات الأشياء أمامهم وغادروا الشقة .

نهض أحد الرجال ليعد الشيشة للحاج ويرص الفحم على المعسل حتي أشار له الحاج بالعودة لمجلسه .

إستأنف كلامه قائلًا وعيناه تضيقان أكثر :

- هقولكم حاجه كمان , بس عايزكم تهدوا وانتوا بتسمعوا الكلام ده .
- خير يا حاج ؟
- من يومين , واحد من عيال (سعد الصياد) فضل ماشى ورا (هبة) بنت (بكر) إبني الله يرحمه وهو بيعاكسها , ولما دخلوا في حتة ساكته إتهجم عليها .

إشتعل الغضب بشدة وإحمرت الوجوه وإتسعت الأعين ونهض البعض من هول الموقف وإرتفعت الأصوات فصاح فيهم ليصمتوا ويتكلموا بهدوء .

- يا حاج دي حاجه من حاجات كتير بتحصل وإحنا ساكتين ومبنتكلمش عشان بس كلمتك اللى إنت قولتها , لما قولتلنا محدش فيكم يقرب من ولاد (الصياد) , برغم إن أخويا الله يرحمه اللى إتاخد غدر

من كام شهر وحقه لسة مرجعش , بس عدينا الموضوع علشان منكبرش المشكلة , لكن عرضنا ؟ , لا يا حاج كده كتير .

قال تلك العبارة (حمدي) إبن شقيقة (جعفر) وهو يحاول تمالك أعصابه , فتبعه أحدهم يوجه كلامه بغيظ للحاج :

- قتلوا تمانية من عندنا يا حاج ومات من عندهم أربعة بس , ده يرضى مين بس ؟! , لولا كلمتك يا حاج كنا مس....
- سحبت كلمتي .

قالها الحاج مقاطعًا الرجل فنظر الجميع له بذهول ولكنه أكمل والغضب بدأ ينتشر علي وجهه :

- من عشرين سنة وعيلة (الجَمَّال) إسمها يرن زي الطبل في أى مكان , الأرض تشيلها , أبويا ساب ليا تجارته واسمه وأنا كملت من بعده وزودت الجنيه لألف وبقي (الجَمَّال) إسم يرن عند تجار النحاس ,

مفيش مصنع فيكى يا بلد مشتغلش من توريداتنا , رجالتنا كانوا يمشوا في أى حتة الكل يقف لهم باحترام وهما حاطين وشهم في الأرض ويسلموا بعلو صوتهم ويتمنوا بس يسمعوا رد السلام من رجالتنا , لكن ييجي اليوم اللى أشوف فيه عيل من عيال (الصياد) يهتك عرضي !

قام أحد الرجال وهو يقول بغضب :

- إحنا سكتنا كتير يا حاج وولاد (الصياد) لازم يتربوا .

رد عليه الحاج وعلى وجهه تظهر إبتسامه :

- وإحنا مش هنسكت يا (عمران) إحنا هنرد وهنرجع هيبتنا من تاني والليله كمان .

ظهر تأثير الكلمات من خلال التحفز الذي ظهر على الرجال الجالسين ثم قال الحاج :

- ابن (الصياد) لازم يتربى انهاردة , بس مش زي كل مرة , عشان ميوقعوش حد مننا تاني .

سكت قليلًا الحاج (جعفر) وهو يفكر وعيناه تضيقان ليقول بعدها :

- أربعة منكم يا رجالة هيتحركوا ويروحوا لمحل (سليمان) ابن (سعد) وتطلعوه برة محله وتضربوه قدام الناس كلها , تكسروا رجليه الإتنين , مش عايز الواد ده ميت , كفاية عليا أشوفه مشلول بقية عمره , هيبقي معاكوا سلاح عشان لو إتضرب نار عليكوا تعرفوا تتصرفوا , رجالتنا هيبقوا محاوطين المنطقة من كل ناحية , أول بس ما نسمع صوت ضرب النار هنتحرك بسرعه عشان نطلعكم . الليله يا إحنا يا إما عيلة (الصياد) يا قاتل يا مقتول .

سحب نفسًا طويلًا من الشيشة ثم أكمل وهو يقول :

- الليله بعد ما تخلصوا هروح لـ(سعد) قدام الناس كلها وهحذره إن لو حد من عيلته إتعرض لحد من عندنا هيبقي مصيره نفس مصير إبنه او هيموت , اللي هنعمله في إبنه ده هيبقي قرصة ودن عشان يبقي متحسر وهو شايف إبنه مشلول كده قدام عينه . وبعدين نعمل صُلح تاني بس ساعتها هتبقي راسنا مرفوعة قدام الكل إن رجالة (الجَمَّال) كسروا إبن (الصياد) .

أشار الحاج (جعفر) لأحد الرجال بإغلاق باب الشقة ثم أشار لحفيده الذي فهم الإشارة ونهض من مجلسه وهو يرفع الوسادة التى كان يجلس عليها , ثم بدأ الرجال في فهم ما يحدث لينهضوا ويرفعوا الوسائد ثم السجادة الثقيلة .

ظهرت طبقة ناصعة اللمعان من البلاط وبدأ حفيد (جعفر) في إزاحة أربعة بلاطات ثم مد يده لأسفل لإخراج البنادق الآلية ثم أخرج الخزائن الخاصة بالبنادق ثم مسدسات غريبة الشكل محلية الصنع , و مسدسات عادية .

نظر الرجال للأسلحه , كانوا يعرفون بوجود ذلك المخبأ الذي عتبر واحد من عشرات المخابئ التي يتم فيها اخفاء وتخزين الأسلحه ليتم إستخدامه في اوقات الشدة والمشاكل , أغلب بيوت القرى لابد من وجود مخبأ مثل هذا تحسبًا لمثل هذه الأوقات سواء كان غني او فقير وغالبًا ما يكون ممول هذه الأسلحه هو كبير العائلة ولا يعلم بأمر هذا المخبأ إلا افراد العائلة فقط ومحرم عليهم البوح به لأي فرد خارج العائلة .

نهض (جعفر) من مجلسه ثم أمسك بإحدي البنادق الآلية ثم أعطاها لإحدي الرجال وهو يقول :

- خلي الحتة دي معاك يا (عمران) بس إهدي عليها وإنت بتضرب أول خزنه عشان فارغ الطلق ميتحشرش في السبطانة .

ثم أمسك ببندقيتين كلاشنكوف وأعطاهم لرجلين آخرين ثم أمسك ببندقية أخري وهو يقول :

- كل واحد فيكم معاه طبنجة كويسة وخزنة زيادة وبندقيته , الموضوع لو إتأزم عليكم هنطلعلكم متقلقوش.

بدأ كل واحد منهم في فك قطع سلاحه ثم أخذوا الخزائن وبدأوا في تعمير أسلحتهم وباقي الرجال نفس الأمر .

ثم أكمل (جعفر) :

- انهاردة الساعه ستة ونص تتوكلوا على الله وتنفذوا , تتطلعوه برة المحل وتكسروه

بعدين واحد منكم يكمل عليه ويبهدلوا شوية والتلاته الباقيين يطلعوا السلاح ويأمنوا المكان عشان لو حد قرب , أول ما تخلصوا هتلاقوا عربية من عربياتنا مستنياكم هتوديكم على بيت (المعصرة) بتاعنا إستخبوا فيه لحد ما تجيلكم الإشارة .

نظر الرجال لبعضهم بتحفز والدماء تغلى في عروقهم وهما يتخيلون هيبتهم تعود مرة أخرى فى الساعات القادمة .

****

(الساعه 6:30 مساءًا)

الليل يزحف ببطئ رويدًا رويدًا والرجال يتقدمون بهدوء بين الشوارع الهادئة لقرية (

الهاشمية) . ثلاثه منهم يرتدى الجلباب ويخفون اسلحتهم تحت الملابس والرابع يرتدي قميص وبنطال ومعه لفافة جرائد وبداخلها سلاحه المخفى جيدًا , يتناقشون وهم يسيرون حتي لا يشك أحدًا بما ينوون فعله , لكن طريقة سيرهم بها كاريزما خاصة لا يمكن للعين العادية أن تخطئها , هؤلاء الرجال مقبلين على عمل ضخم الليلة , مشيتهم الواثقه وذقونهم المرفوعه أكبر دليل على إقتراب شئ ضخم الليلة .

إقتربوا الرجال من مدخل القرية تحديدًا عند موقف الميكروباصات والشاحنات النصف نقل حيث يقبع محل (سليمان الصياد) الذي يشبه محل البقالة ولكنه أكبر قليلًا وبداخله (سليمان) يجلس مشغولًا بمراجعة بعض الحسابات من داخل دفتر , توقف شاب وسيم متوسط القامه امام المحل يرتدي قميص وبنطال ثم قال :

- سلامو عليكم ؟

نظر (سليمان) وتأمله لثوان ثم رد السلام عليه :

- وعليكم السلام , اؤمرنى ؟
- فيه كام واحد من عيلة (الجَمَّال) جايين على المحل دلوقتي وناويين يبهدلوك , إمشي من محلك حالًا .

قال الشاب عبارته السابقه ثم غادر سريعًا نحو إحدى الميكروباصات بينما (سليمان) لازال لم يستوعب ما قاله هذا الشاب , أعاد العبارة فى عقله مرة أخرى .

عائلة (الجَمَّال) ينوون الغدر اذن , لا لن يهرب ابن كبير عائلة (الصياد) , بل سيلقنهم درسًا لن ينسوه , نظر لإحدي الأرفف وأزاح بعض مما عليها وهو يمد يده لتجويف داخل الحائط ليخرج مسدسه ومعه خزنة إضافية ووضع بعض الرصاصات

الإضافية في جيبه ثم سحب أجزاء المسدس ليصبح جاهزًا للإطلاق .

دقائق مرت وإقترب رجال عائلة (الجَمَّال) من محل (سليمان) وهم يسيرون بجانب بعضهم , يحاولون ألا ينظروا إلي المحل كي لا يثيروا الشبهات , أحدهم نظر بشكل خاطف لكنه لم يستطع إبعاد نظره , لأن عينيه إصطدمت بعين (سليمان) الذي يقف ينظر بتركيز , توقف الرجل مذهولًا خوفًا من إنكشاف أمرهم قبل الأوان , توقف الزمن للحظات هنا بينما لازالت أعين الإثنين مصطدمين ببعضهم , قطع (سليمان) تلك اللحظات عندما أخرج مسدسه وأطلق رصاصه إستقرت في جمجمة الرجل .

في تلك اللحظه تفرق الرجال وهم يخرجون أسلحتهم ويطلقون وابل من الأعيرة النارية داخل المحل بينما (سليمان) قد توارى للداخل قليلًا وهو يرد عليهم بإطلاق النيران العشوائية .

****

- ضرب النار إبتدي يا حاج !

قالها أحد أبناء (الجَمَّال) وهو يفتح باب منزله سامعًا أصوات الطلقات النارية الواضحه . صرخت إحدي النساء التي في المنزل لكن أتى صوت من رجل ضخم الجثة يرتدي جلباب يخرج من إحدي الغرف قائلًا :

- لو سمعت صوتك تانى هخليهم يعملوا صوان عزاكي .

كان الرجل يمسك بمسدس في اليد اليمنى وفي اليد الأخرى كان يمسك بخزنتين وهو يدخلهم جيبه بينما خرج أحد الشباب من غرفة جانبية وهو يقول :

- نطلع السلاح يا حاج ؟

نظر له وهو يتأمله للحظات ثم قال له :

- طلع كل السلاح , خلي كل أخواتك يضربوا على رجالة (الصياد) اللي معاهم سلاح , يبعدوا عن اللى مش معاهم سلاح , سامعني؟ .

قالها الحاج (جعفر) وهو يشد أجزاء مسدسه إستعدادًا للإطلاق وفي نفس الوقت كان رجال عائلة (الجَمَّال) يخرجون من منازلهم يحملون السلاح متجهين لمدخل القرية , كانوا يخرجون لدرجة أن عدد الرجال وصل لثلاثون شخص يحملون الأسلحه .

****

في منزل الحاج (سعد الصياد) والذي كان يداعب إحدى احفاده عندما سمع صوت النيران تأتى من الخارج فأمر بنزول النساء للأسفل بينما صعد هو للأعلى لينظر من النافذه ويرى ما يحدث ومن أين يأتى صوت الرصاص , ظل ينظر من النافذة لمدة دقيقتين ولازال لا يعلم من أين يأتى صوت

الرصاص حتى رأي أحد أبناء شقيقه يخرج من المنزل ويحمِل إحدي البنادق الآلية وهو يجرى فناداه سائلًا عما يحدث فقال له الشاب وهو يجري :

- ولاد (الجَمَّال) بيضربوا نار على محل عم (سليمان) يا عمى .

إنقبض قلب (سعد) للحظة لمجرد تخيله ما يحدث حاليًا لـ(سليمان) , كان الحاج (سعد) ضخم الهيئة ويرتدي نظارة طبية وله شارب منمق وبرغم مظهره الهادئ وملامحه الطيبة التى لا تدل على الشر تحولت ملامحه للغضب وهو يجرى بخطى لا تناسب سنه وكأنه شاب في العشرينات , دخل إحدي الغرف وفتح إحدي الدواليب وأخرج بندقية كلاشنكوف وخزنتين اضافيتين وهو يلقمها على الضرب الآلي اثناء الضرب وهو ينزل السلم جريًا لخارج المنزل , وقف أمام المنزل وأطلق دفعة من الرصاص في الهواء وهو يقول بصوت مرتفع :

- يا ولاد (الصياد) , دم ولاد (الجَمَّال) حلال ليكم إنهاردة .

لم يكمل العبارة إلا ورأى أغلب شباب ورجال العائلة يخرجون من المنازل ومعهم أسلحتهم جريًا للوصول لأول القرية .

****

أمطار الرصاصات النارية لازالت كما هى , (سليمان) يطلق طلقات عشوائية تجعل أبناء (الجَمَّال) لا يستطيعون الإقتراب خوفًا من اصابة أى أحد منهم برصاصة عشوائية , رغم وقوفهم على الجانبين إلا أن إبن (الصياد) يدافع بقوة أمام ثلاثة من أبناء (الجَمَّال) , ميكروباصات الموقف بدأت في المغادرة سريعًا بعيدًا عن النيران المتراشقة , النساء والأطفال يغادرون وهم يطلقون الصرخات وأمطار النيران لازالت كما هي .

(سليمان) يحاول تعطيل ابناء (الجَمَّال) حتى وصول الدعم من عائلته لكنه تفاجئ بسماع صوت

صياحًا عاليًا ومعه إزداد وابل الرصاص على المحل اكثر حتى أصبح الضِعف لدرجة أن بعض الرصاصات بدأت تقترب من (سليمان) , مع إطلاق وابل الرصاص لم يستطيع (سليمان) إطلاق طلقة نارية واحده وظل جالسًا مكانه حتي سمع صوت أحدًا منهم في الخارج وهو يقول :

- وقفوا ضرب !

إستمر الضرب لثوانٍ بعدها توقف عندما عرف الجميع أن المُتكلم كان أحد أبناء الحاج (جعفر) ثم أكمل :

- الكل يروح على بيته .

نهض (سليمان) بنصف جسده وهو يلاحظ إنسحاب ابناء (الجَمَّال) بسرعة وبحذر شديد جدًا , لم يستطيع (سليمان) إطلاق أى طلقة أخرى لأن مسدسه كان به بضع طلقات قليلة جدًا لن يستطيع بها مجاراة البنادق الآلية , كان يحمد الله على إنسحابهم ونجاته منهم , لحظات ولم يجد

أى أحد في الخارج ولكنه كان محتفظ بموقعه حتى وصول دعم عائلته حتى لا يقع فى الفخ . شعر بسماع صوت شئ يحتك بالأرض , لم يفكر كثيرًا حتى سمع صوت تعمير سلاح نارى , كان يسمع الصوت يأتى من جانب المحل فتحفز وهو ينهض ويوجه مسدسه للخارج ناحية الصوت لكنه سرعان ما أطلق صرخة قوية بحرقة ويده التى تحمل المسدس تنفجر حرفيًا من جراء دخول طلقة نارية بها . وقع أرضًا وهو يتألم بينما يسمع خطوات واضحة تقترب له , كان مُطلِق الرصاصة هو إبن الحاج (جعفر) الذي أمر رجاله بالتراجع منذ قليل .

إقترب منه أكثر بخطوات بطيئة وهو يدخل المحل و هو يقول :

- سلامتك من الخضة يا إبن (الصياد) .

بدأ (سليمان) في سَبِه وهو يمسك يده اليسرى بيده اليمنى المصابة ولكن إبن (الجَمَّال) إقترب

أكثر ووجه المسدس لرأس (سليمان) الغير منتبه ثم أطلق طلقة نارية أحدثت صوتًا عاليًا وكمية من الغبار المختلط مع أشلاء مخ (سليمان) .

***

وقف أبناء (الصياد) يحيطون بالمكان والمحل وهم يحملون أسلحتهم النارية , حل الظلام على المكان وإنتشر , كان الرجال تنفجر أعينهم من الغضب مما حدث وكانوا ينتظرون الحاج (سعد) بفارغ الصبر كى يشاهد ما حدث لولده ويأمرهم بفعل ما يحلمون به دائما ألا وهو محو أبناء (الجَمَّال) من الدنيا . بالفعل الجميع قد سمع بأن الحاج (سعد) سمح لهم بقتل أبناء (الجَمَّال) ولكن بمجرد إقترابهم من المحل واكتشافهم لجثة (سليمان) قرر أكبرهم إنتظار وصول الحاج (سعد) ليري ما حدث .

وصل الحاج (سعد) جريًا وهو يحمل بندقيته الآلية , كان يجرى لكنه توقف عندما رأي الرجال يحيطون بالمكان , بطأ خطواته وقد بدأ يتخيل ما حدث .

وصل للمحل فإبتعد الرجال قليلًا ليدخل الحاج المحل , تصلب وجهه عندما رأى جثة (سليمان) إبنه الأكبر , الجثة التى لم تعد لها ملامح بسبب تهتك الجانب الأيسر من وجهه وإنتشار الدماء وقطع عظام الجمجمه والمخ على الأرض , لم يبد على وجهه أى تعبير ثم نظر للخارج بحثًا عن أحد الرجال حتى وقعت عينيه عليه ثم أشار إليه وناداه , جرى الرجل ناحيته ووقف أمامه مصغيًا ثم قال الحاج (سعد) بصوت أجش مسموع للجميع :

- مفيش لا راجل ولا عيل ولا ست من عيلة (الجَمَّال) يكونوا عايشين للصبح , مش عايز اسمع إن في حد منهم طلع عليه النهار , سامعين ؟ .

كانت هذه العبارة موجهة لجميع الرجال , وبالفعل تجمع الرجال والرجل الذي كان يقف مع الحاج (سعد) يأمرهم بما سيفعلون .

****

بدأت الحرب وأصوات الطلقات النارية تنتشر في جميع أرجاء القرية , لجأ الناس إلي بيوتهم خوفًا من الطلقات العشوائية القادمة من العائلتين , الشوارع خالية إلا من أبناء (الصياد) و (الجَمَّال) وقد فهم كلا منهم أن بقاء إحدي العائلتين يعتمد على القضاء على العائلة الأخرى , كمائن وأصوات صراخ والدماء تنتشر في الشوارع , المذبحة مستمرة من عائلة (الصياد) الغاضبة , كانوا يدخلون منازل عائلة (الجَمَّال) ويقتلوا كل من فيها من رجال ونساء وأطفال , الغضب كان مسيطرًا رئيسيًا على كلا العائلتين لكن (الصياد) كانت لها النصيب الأكبر من الغضب , مع سماع أخبار الهجوم المتكرر على بيوت (الجَمَّال) فَهِم الحاج (جعفر) أن رجال (الصياد) تلقوا أوامر بقتل كل

عائلة (الجَمَّال) الليلة , وهذا لم يحدث من قبل , لم تكن النساء والأطفال ضمن هذه المشاكل أبدًا , لم يكن في شيمتهم قتل النساء والأطفال فهذه أفعال جنونية .

ساد الهرج والفزع بين طوابق منزل الحاج (جعفر) بينما هو يصيح عاليًا فيهم لجمع كل النساء والأطفال من منازل العائلة ويتبعوه .

فتح غرفة نومه وأزاح إحدي الدواليب وأمسك بحقيبة سفر ضخمة ووضعها على الأرض ثم فتحها كي يتأكد من نقوده , فهو لا يحب الإحتفاظ بالنقود في البنوك ولكن يحتفظ بها سائلة معه , كان المبلغ الموجود في الحقيبة يتجاوز الأربعة ملايين جنيه , أغلق الحقيبة وسحبها بصعوبة للخارج فوجد أحد أحفاده يساعد والدته للخروج فنادي عليه ليعطيه الحقيبة وأمره بوضعها في إحدي السيارات التى سيستقلونها , ثم وقف على باب المنزل وهو يراقب الوضع ويسمع بوضوح إقتراب صوت الطلقات

النارية من منزله , فصاح بصوت مرتفع داخل المنزل وهو يقول:

- كل واحدة تجيب دهبها وفلوسها واللي تقدر عليه , إحنا مش عارفين هنرجع تانى ولا لا .

قال العبارة السابقة ثلاثة مرات بصوت مسموع ومرتفع ثم أمر أحد أبنائه بتشغيل محركات ثلاث سيارات جيب كي تكون جاهزة للمغادرة , إرتدي الحاج (جعفر) عباءة سوداء وشال أبيض ووضع إحدي المسدسات في جيبه ومعه خزنة إضافية وعلى ظهره بندقية آلية كلاشنكوف وخزنتين إضافيتين , كان يعلم أن رجال (الصياد) تقضي على كل ما هو له صلة بعائلة (الجَمَّال) من نساء وأطفال ورجال لذا كان لابد من جمع أغلب أفراد العائلة لإخراجهم سالمين , لو كانت المواجهة للرجال فقط لم يكن ليخاف على عائلته هكذا لكن هذه المرة

تختلف فهي تعتمد على القضاء على النسل بالكامل .

كانت النساء تنزل من الطوابق سريعًا وهي تمسك بأطفالها والخوف متمَلِك منهم جميعًا , ظهر بعدها حفيد الحاج (جعفر) وهو يخبره أنه قام بإدارة ثلاث سيارات جيب كما أمر وجاهزين للمغادرة , أمر الجميع بتتبعه حتى وصلوا لمكان تواجد السيارات , أمر النساء بدخول السيارات , أمر حفيده الأول بقيادة السيارة الأولى وكذلك حفيده الثانى والثالث للسيارتين الباقيتين , أمر السيارات بتتبع السيارة التى يستقلها الحاج (جعفر) وهو ينبه السائقين بمعالم الطريق الذي سيستقلوه للخروج من القرية , كانت أصوات الرصاصات تتعالى وتأخر الوقت أكثر كان شديد الخطورة على عائلة (الجَمَّال) .

****

فى منزل الحاج (سعد الصياد) إفترش الأخير وسادة على الأرض وأعاد ظهره للخلف وهو يطلب من إحدي الفتيات ان تأتى له بالشيشة , توقفت الفتاة لثوانٍ غير مصدقة لطلبه لكنه سرعان ما صرخ في وجهها لكى تأتى له بالشيشة , لم يكن على وجهه أى تعبير , متجمد , العالم من حوله غير موجود , كل ما في باله الأن القضاء على بقية نسل (الجَمَّال) , أتت الفتاة له سريعًا بالشيشة وهي ترص له الفحم , كان يسحب أنفاسًا سريعة تخرج من أنفه , ينظر إلي لا شئ أمامه , يعلم خدع ومكائد (جعفر) منذ زمن طويل , للمرة الأولي بين تاريخ مشاكل العائلتين التى بدأت منذ زمن يدخل بها نساء , كان يراجع ما قاله من قتل لجميع أفراد (الجَمَّال) لكنه إتخذ القرار الصحيح , فغدر (الجَمَّال) بدأ ولن ينتهي .

قطع تفكيره دخول إحدى الرجال وهو يحمل بندقية على كتفه وهو يقول بأنفاس لاهثة :

- كله تمام يا جدي , الرجالة قربت توصل لبيت (الجَمَّال) خلاص .

لم ينتبه لكلامه وظل يسحب أنفاسًا كثيرة من الشيشة ثم قال بعدها :

- (الجَمَّال) إستحالة يقعد في بيته دقيقة تانى من بعد اللى حصل , انا عارف دماغه السم دي كويس , هيلم عيلته وفلوسه وهيهرب برة البلد.

رد عليه الرجل :

- طب والعمل يا جدي ؟

سحب نفسًا عميقًا من الشيشة ثم تركها وهو يقول :

- خلى أى حد يطلع وراه يجيبه .

أعطي الرجل ظهره لـ(سعد) ولكن صوت الحاج جاءه فجأه:

- إستني

نظر له الرجل بلهفة وأدب , مد (سعد) يده داخل جلبابه وهو يخرج ورقة ويقول :

- إتصلوا على الرقم ده وبلغوه إن (سعد الصياد) عايزوا دلوقتي في البلد , بلغوه إن الرجالة هيستنوه برة على اول البلد .

نظر الرجل إلى الورقة فلم يجد إلا رقمًا فقط , ذهب إلى الهاتف لينفذ ما سمع , بينما أمسك (سعد) بالشيشة مرة أخرى وعاد ليسحب أنفاسًا كثيرة منها وصوت الرصاص ما زال يدوي .

****

تحركت السيارات منذ خمسة عشر دقيقة نحو حدود قرية (الهاشمية) , (جعفر) كان يعلم طريق لا يعلمه أحد من هذه القرية يؤدى إلي خارج القرية , كان يعلم أن الطريق الأساسى للخروج من القرية

سيكون تحت سيطرة رجال (الصياد) لذا تعامل بذكاء وخرج من طريق فرعى من القرية , لكن خيبت آمال الحاج بمجرد أن نظر في مرآة السيارة ليجد سيارة مرسيدس بيضاء تظهر على الطريق وتقترب منهم , كيف عَلِم أبناء (الصياد) أننا سلكنا هذا الطريق ؟ , كيف وصلوا بتلك السرعة ؟ , لم يفكر (جعفر) كثيرًا قبل أن يشير لحفيده بإبطاء السرعه ثم أشار بيده للسيارتين الباقيتين أن تتقدماه بينما سيارة (جعفر) تبطئ بشدة حتى اصبحت السيارة المرسيدس خلف سيارة (جعفر) .

سمع من داخل السيارة المرسيدس صوت سائقها وهو يصرخ بقوة:

- أقف يا (جعفر) !

فجأه خرج الحاج نصفه العلوى من النافذة وهو يمسك ببندقية آلية ووجهها ناحية السيارة ثم أطلق وابل من الرصاص تجاه السيارة , إصطدمت

بعض الرصاصات بجسد السيارة فإضطر سائقها للإنحراف يسارًا والخروج عن الطريق بينما سيارة الحاج تبتعد وهو يتأكد من توقف مطاردة السيارة لهم .

إنطلق الحاج بسيارته سريعًا ليلحق بالسيارتين حتي عادت سيارة الحاج تقود باقى السيارات ثم أخرج رأسه من النافذة وهو يقول :

- إركنوا عند بيت المعصرة , فيه ارض زراعية هتقابلنا بعد شوية البيت بعدها علطول .

هز حفيده رأسه وهو يبطئ لكى يبلغ السيارة الأخرى ما قاله الحاج بينما أعاد (جعفر) ظهره للخلف .

****

وصلت السيارات الثلاثه أمام المنزل وخرج الحاج ومعه حقيبة النقود وهو يصيح فى الجميع أن

يخرجوا ويتبعوه للداخل , خرجت النساء والأطفال وهم يتبعون الحاج الذي دخل منزل خالى من الأبواب مكون من ثلاثة طوابق وقام بفتح ضوء السلم لتنتشر إضاءة حمراء اللون من مصباح صغير معلق , غمرهم دفء شديد كأنه يأتى من مدفئة ضخمة , بمجرد دخولهم عوضهم عن برد الطريق . صعد الحاج السلم وهو يتحسس طريقه حتى وصل لأول شقة على يسار المدخل في الطابق الأرضى , وجد بابها الخشبى مفتوح وأضاء المصباح الأحمر الصغير ثم هبت على أنفوفهم رائحة كريهة فأطلق الحاج عبارة سريعة عن الفئران الميتة ورائحتها , أدخل النساء للشقة وأمرهم بعدم أصدار أى صوت حتى يعود لهم فى الصباح , توزعت النساء بعدما ترك الحاج معهم الحقيبة وأمرهم بأن يغلقوا الإضاءة حتى لا يكتشف أحد موضعهم , غادر المنزل وإتجه لحفيديه المنتظرين في السيارتين , أدخل رأسه داخل إحدي السيارات وهو يقول :

- طالما كانت فيه عربية ورانا يبقي أكيد ولاد (الصياد) عارفين هنروح فين وهيحصلونا بالعربيات , إحنا هنطلع على شبرا كأننا بنوصل الستات وهنرجع البلد تانى نلحق باقى الرجالة , لغاية ما ربنا يحيينا بكرة .

***

بناته وزوجات أبناءه وأبناء أشقاءه , أما الأطفال فتتراوح أعمارهم بين ثلاثة اعوام إلي عشرة أعوام , كلهم أحفاد الحاج (جعفر الجَمَّال) وأبناء أقاربه .

يمكنك أن تتخيل إجتماع كل هذه المجموعه الخائفة فى مكان مغلق كهذا وفى ظروف غريبة كالتي عاشوها في الساعات السابقة , بعض الأطفال تصرخ وتبكي فتصرخ بعض النساء بهم

حتى يصمتوا فتصرخ بقية النساء فى النساء التى صرخت فى الأطفال .

الخوف وقود مجانى لتلك الأوقات خاصة فى منزل كهذا مصابيحه العتيقه ترمى بظلال الجالسين على الحوائط, فإذا رفعت إحداهن يدها لتعدل هندامها يرى البقية ظلاً ضخمًا يتحرك على الحائط . أجواء كفيلة بإشعال وقود الخوف .

مع مرور الوقت كان أغلب النساء قد تغلب عليها شبح النوم ولكن بعض الأطفال كانوا لا يزالوا متمسكين ويرفضوا الإستسلام خوفًا من أجواء هذا المنزل الغريب .

...

الساعة (2 بعد منتصف الليل) ..

صرخة مدوية شقت هدوء المنزل بالكامل , أيقظت النساء وكل من فى البيت باحثين عن مصدر إطلاق هذه الصرخة القوية حتى وجدوا (كريمة)

إحدي الأطفال التى تبلغ سبعة أعوام تجلس خائفة فى أحد أركان غرفة من الغرف الموجودة بالمنزل ورأسها تضعها بين قدميها وهى تبكى , أمسكت بها (أسماء) أحد أحفاد الحاج (جعفر) وهى تحتضنها وتربت على كتفها حتى تهدئ من روعها بينما (كريمة) كانت تنظر فى أرجاء الغرفة بعينيها كأنها تبحث عن شيئًا ما , (كريمة) تكون شقيقة (أسماء) الأصغر وأمها الثانية بعد وفاة والديهما فى حادث سيارة منذ ثلاثة أعوام , أمسكت (أسماء) بشقيقتها وهى تأخذها بعيدًا وهى تطمئن باقى النساء للعودة لموضعهم , نظرت لـ(كريمة) وهى تسألها بهدوء عن سبب صرختها المدوية فبدأت (كريمة) تحكى ما حدث :

- كنت بلعب مع (حامد) و(سالم) و(هدى) بس زهقت وقومت أمشى شوية فى البيت وكان فى أوضة مقفولة جاى منها صوت غريب معرفتش أسمعه كويس , فتحت الأوضة وكانت ضلمة خالص بس دخلت

وبسرعة لقيت باب الأوضة إتقفل ورايا وصرخت بأعلى صوت بس معرفش ليه محدش منكم كان سامعنى , كنت بخبط على الباب بس برضو مكنش حد سامعنى , كنت سامعة (حامد) و (سالم) و (هدى) وهما بيلعبوا ويتكلموا وأنا قاعدة بنادى عليهم وبرضو محدش سمعنى , كان في الأوضة نور خفيف جدًا جاى من الشباك كان مدخل نور خفيف للأوضة لقيت بعد كده وش بيبص ليا من الضلمة فى ركن من الأوضة وبعدين ضحك وبدأ يظهر ظل أسود شكله وحش أوى , جريت بسرعه على ركن الأوضة وهو بيقرب ليا وبعد كده صرخت بأعلى صوت وخبيت وشى من الخوف وبعدين لقيتكم بتفتحوا الاوضة ودخلتوا وهو كان إختفى معرفش راح فين ! .

نظرت (أسماء) لشقيقتها بنوع من عدم التصديق وكأنها حكايات الأطفال الصغيرة ورؤيتهم للأشباح , بالتأكيد الساعات القليلة الماضية جعلت الأطفال يدخلوا فى مرحلة تخيلات غريبة .

ربتت (أسماء) على كتف أختها وهى تأخذها فى أحضانها , بينما (حامد) و (سالم) و (هدى) خرجوا من باب المنزل دون أن يراهم احدًا .

***

2014 م ..

الإسكندرية

—

- (مصطفى) بقاله خمس أيام غايب فمعلش يا (طارق) هنتعبك شوية معانا الكام يوم دول.

قالها (زياد) وهو يجلس على كرسيه ناظرًا لشقيقه (طارق) الذى ينظر للأسفل وهو يرد عليه ويقول :

- لا ولا تعب ولا حاجه يا (زياد) , إحنا تحت أمرك .

اخذ رشفة من كوب القهوة الذي أمامه وهو يكمل بسؤال :

- عملتوا تحريات عن المحامى اللى راحله ولا لا؟

اعاد (زياد) ظهره للخلف وهو يرد ويقول :

- عملنا , بس مكانش فيه نتيجة , المحامى أكدلنا إن (مصطفى) مشى من عنده بعد ما إستجوبه ومن ساعتها مشافهوش تانى .

وضع يده على رأسه وهو يميل للأمام على مكتبه ويكمل :

- مراته قالتلنا إن أخر مرة إتواصلت معاه كان قبل ما يوصل للمحامي بحوالى ربع ساعة وبعدها بساعة حاولت تتواصل معاه تانى لقيت موبايله مقفول .

رد (طارق) وهو يعرض على (زياد) سيجارة :

- مش متطمن للمحامى ده الصراحه , حاسس بحاجه من ناحيته .
- على حسب تحرياتنا , هو محامى مشهور وشاطر جدًا على حسب كلام الناس , إيه هيخليه يكون السبب ورا إختفاء (مصطفي) ؟
- كلام منطقي وسليم لكن مش كل البشر ملايكة يا (زياد) .

قال (طارق) العبارة وهو ينظر بطرف عينه لـ(زياد) , بينما (زياد) لم ينتبه لكلامه او نظرته .

قاطع حديثهم دخول النقيب (مينا) وهو يقول :

- تقرير جثتين بيت (سعيد المصرى) ظهر يا (زياد) بيه .

إستأذن (زياد) من (طارق) وهو يقول :

- (طارق) , ملف القضية كاملة قدامك أهو راجعه وبص عليه كويس لحد ما أخلص اللى هعمله ده .

هز (طارق) رأسه بالموافقه بينما يخرج (زياد) و (مينا) من الغرفة .

****

دخل (زياد) و(مينا) إلى غرفة النقيب (مينا) حيث يجلس الدكتور (سامح) على إحدي الكراسى وهو يمسك ببضعة أوراق .

ألقي (زياد) التحية على (سامح) وهو يجلس على الكرسي المواجه للدكتور (سامح) وهو يسأله :

- بلغنى يا دكتور ايه الجديد ؟

أعاد (سامح) ظهره للخلف وهو يقول :

- **إسمعني كويس يا (زياد) بيه**

أخذ أنفاسه وبعدها بدأ يتكلم :

- **الجثة الأولى لشخص إسمه (حسان السعيد) كان عايش فى قرية إسمها (الهاشمية) قريبة من القناطر بس نقل في سنة 2008 م هنا إسكندرية فى (محطة الرمل) تحديدًا , عنده حوالى 53 سنة , سبب الوفاة كان طلقة مباشرة في الجمجمة إتوفى بعدها علطول , زي ما قولتلك من شكل الجثتين كان باين إنهم ماتوا من حوالى أربع أو خمس سنين وأعتقد إنهم ماتوا سنة 2009 او 2010 تقريبًا.**

أعاد (زياد) ظهره للخلف وهو يسأل :

- **طيب والتانى ؟**

هز الدكتور (سامح) بالموافقه وهو يقول :

- هقولك , الجثة التانية لشخص إسمه (بكرى صادق) كان عايش برضو في قرية (الهاشمية) برضو بس نقل هنا لإسكندرية سنة 2006 م تحديدًا فى (المعمورة) . عنده حوالى 55 سنة , سبب الوفاة مختلف عن الجثة الأولى .

إعتدل (زياد) في وضعيته وهو يستمع باهتمام بينما يرد الدكتور (سامح) وهو يقول :

سبب الوفاة هو نحر العنق او اتدبح بلغتنا يعني.

نظر (زياد) بتعجب من طريقة الدكتور (سامح)وهو يقول العبارة السابقة ثم سأله :

- مش فاهم ؟ , ناس كتير ماتت مدبوحه و ...

إبتسم الدكتور (سامح) وهو يقاطعه :

- إهدى يا (زياد) بيه وهتعرف .

ثم أكمل بنبرة هادئة :

- بعد ما عملنا بحث خفيف كده لقينا إن سلاح الجريمة دي كان نوع من أنواع السكاكين المستخدمة فى محلات الجزارة , بمعنى أصح إسمها سكين (جزار) .

اندهش وهو يسمع إسم سلاح الجريمة , السكين الذي تكرر إسمه كثيرًا هذه الفترة ! , كيف ! , هل معنى ذلك أن جرائم قتل هذا المختل بدأت منذ أربع او خمس أعوام و ليس منذ شهرين ! , ما هذا المختل الذي نتعامل معه ؟!

أنهى (زياد) تفكيره ثم أمر النقيب (مينا) بمراجعة التقرير وإحضاره لمكتبه ثم ألقي السلام على الدكتور وخرج من الغرفة .

****

2003 م – القاهرة

مصدوم , كأنه يرى شخصًا مقتول أمامه , نظر (سعيد) لـ(سلوى) وهى ترمقه بنظرات خوف , كان ما إكتشفه (سعيد) ليس وجود المفتاح بل شيئًا أكبر بكثير , وجد الصندوق ! , صندوق متوسط الحجم عليه نقوش فرعونية قديمة , أخرج (سعيد) الصندوق بينما إتسعت عين (سلوى) عندما رأت الصندوق أمامها .

ترك (سعيد) الصندوق وهو لازال ينظر لـ(سلوى) بغضب ويقترب منها وهو يقول لها ووجهه ممتلئ بالغضب والصدمة :

- ليه ! , ليه يا (سلوى) ؟ , بتغفلينى ؟

قاطعته (سلوى) سريعًا وهى تُقسِم أنها للمرة الأولى ترى هذا الصندوق بغرفتها والدموع تتساقط من عينيها .

أصبح (سعيد) مُغيب تمامًا والغضب يسيطر عليه ثم فجأه تحولت عينه وأصبحت بيضاء تمامًا و أمسك بيديه عنق (سلوى) وبدأ فى الضغط بشدة على قصبتها الهوائية بينما (سلوى) تصرخ وتستنجد وتحاول رفع يديه ولكن بلا جدوى , كان الضغط يزداد وبدأت (سلوى) تصاب بالإختناق وصعوبة القدرة على التنفس ولازال (سعيد) يضغط بشدة حتى توقفت (سلوى) فجأه عن الحركة تمامًا , إستفاق (سعيد) بعدها وإتسعت عيناه وهو يرى يديه تمسك بعنق (سلوى) التى أصبحت لا تتحرك , تنظر للأعلى , صاح (سعيد) بصوت عالى وهو يحاول إفاقتها وإيقاظها ولكن بلا جدوى , (سلوى) كانت قد فارقت الحياة لعدم قدرتها على التنفس وإختناقها , نظر (سعيد) وراءه ليجد (حامد) و (سالم) ينظران له وكأنهم لا يصدقوا ما يرونه , نهض (سعيد) وهرب سريعًا خارج المنزل , فجأه

أمسك (حامد) رأسه وسقط على الأرض من الألم بينما يحاول (سالم) إمساكه , كان يتألم بشدة حتى توقف فجأه وأغمض عينيه ثم فتحها ليعود (سالم) للوراء وهو خائف بعدما أصبحت عين (حامد) بيضاء تمامًا لمدة ثوانٍ , أغلق بعدها (حامد) عينه مرة أخرى ثم فتح عينه سريعًا ثم إستفاق وهو ينهض ويمسك برأسه وهو ينظر لـ(سالم) ويقول له :

- هو حصل إيه ؟ في ايه ؟

لم يكمل حتى نظر لسرير شقيقته حيث جثتها عليه , نهض وهو يجرى سريعًا وهو يحاول أن يوقظها ولكن كان بلا أمل , أخذها فى أحضانه وهو يبكى بينما (سالم) لازال يتسائل عن ما حدث للتو ؟ , كيف (حامد) لا يتذكر ما حدث ؟ , نهض (سالم) ببطء وإقترب من سرير (سلوى) حيث (حامد) الذى يبكى بينما بدأ (سالم) يبكى هو كذلك.

قرب (حامد) وجهه ثم قَبل جبين شقيقته للمرة الأخيرة ثم أغلق عيناها المفتوحتين . بدا على وجهه التحول للغضب المكتوم .

****

الفصل السادس

الإنتقام .. واجب

2014 م ..

- مبروك يا مدام (مروة) , القضية نجحت نجاح كبير , ألف مبروك .

قالها المحامى بصوت يملأه الفرحة بينما كانت (مروة) لا تصدق ما تسمعه أذانها , كيف إنتهت القضية سريعًا هكذا ! , كان التساؤل يسيطر عليها أكثر من فرحة سماع الخبر , بينما كانت غارقة بالتفكير إستيقظت على صوت المحامى وهو يناديها :

- ألو ؟ , مدام (مروة) ؟ , إنتى كويسة ؟
- أيو .. أيوة حضرتك أنا معاك أهو .
- ألف مبروك .
- الله يبارك فى حضرتك يا أستاذ (حامد) .

صمتت قليلًا ثم عادت للسؤال وهى تقول :

- معلش , أستاذ (حامد) ممكن سؤال ؟

- أه طبعًا , إتفضلى .
- هو إزاى القضية خلصت بسرعة كده ؟ , إحنا مكملناش 3 أيام بالظبط ! , مع إحترامى لحضرتك بس أكيد المفروض يكون فيه إستدعاء ليا ولـ(شهاب) كمان زى ما كنت بسمع وبشوف فى أى قضية طلاق أو خلع .
- هشرح كل حاجه لحضرتك بالتفصيل لما تشرفينى فى المكتب , بعد بكرة هكون فى المكتب لإنى حاليًا برة إسكندرية , تقدرى حضرتك تشرفينى بعد بكرة لو مناسب معاكى الساعه تلاتة الضهر ؟!
- أه أه .. مناسب معايا , معادنا بعد بكرة إنشاءالله , سلام .
- سلام .

لازال التساؤل يقتلها من الداخل , بحر من الأسئلة والشك , هل هذه مزحة ؟ , قضية طلاق تنتهى في أسبوع ؟! .

نهضت من مقعدها وهى تنظر للمرآه وهى تتذكر ذكرياتها الجميلة مع (شهاب) وكيف تحولت حياتهما الوردية إلى جحيم أسود بعد وفاة (يوسف) , تتذكر طفولتها ونظرات (شهاب) إليها و المرة الأولى التى إعترف لها فيها بحبه , دمعت عيناها وهى تنظر لنفسها وكأنها تمسح ذكرياتها القديمة وتخلق نسخة جديدة لها , نظرت للمرآة ثم أمسكت بهاتفها لتحادث أحد أصدقائها .

****

2015 م

الإسكندرية

فتح باب منزله ليجد إبنه (كريم) يهرول ويجرى ناحيته بينما هو يأخذه فى أحضانه وهو يقول :

- وحشتني يا (كريم) , وحشتني جدًا !!

يمسكه من يده وهو يضع حقيبة عمله ويجلس على إحدى الأرائك و(كريم) يجلس بجانبه ويأخذه فى أحضانه ويتذكر زوجته (ريهام) التى توفت منذ عام لإصابتها بالسرطان , يتذكر عندما رآها للمرة الأولى فى إحدى المحاضرات فى كلية الحقوق , يتذكر كيف كانت تسانده فى هذا العالم الوحشى , كيف كانت تأخذه فى أحضانها عندما ترهقه الحياة , كيف تركت له (كريم) وهى تعطى وصيتها الأخيرة بالحفاظ عليه , كيف عادت حياته للتدهور بعد وفاتها , كيف كانت تبكى قبل أن تفارق الحياة بعد آخر عملية , لم يشعر بهذا الحزن منذ وفاة شقيقته ووالدته , كان (كريم) هو الأمل الذى يتشبث به (حامد) فى هذه الدنيا , (حامد) كان يعلم أنه ملعون وأن كل من أحبه يرحل عنه او يرحل عن الدنيا , لذا كان (كريم) هو مصدر أمان (حامد) وليس العكس.

- (كريم) , إحنا إنهاردة هنخرج ونروح المكان اللى إنت عايزو عشان بس أعوضك عن خروجة الأسبوع اللى فات , إنت عارف بس الشغل زاد أوى الفترة دى عشان كده أنا أسف وأوعدك إنى هحاول أخصصلك وقت أكتر من كده , إتفقنا ؟

أوما (كريم) رأسه بالموافقه ثم نهض ليدخل غرفته بينما نهض (حامد) ليفتح أحد الأدراج ثم أمسك ببعض الأوراق التى تتواجد بداخلها صور لأشخاص وفي أسفل كل ورقة يوجد كلام مكتوب بالخط الأسود . أخذ أنفاسه ثم نظر لورقتين كانوا موجودين داخل الدرج بهم صور لأشخاص كذلك ولكنهم كانوا مختلفين فى شيء , كانت توجد علامة (x) كبيرة باللون الأحمر على الصورتين , نظر لهم نظرة مطولة تحديدًا لإحدى الصور وعلامات الغضب تظهر على وجهه بينما قاطع تفكيره المطول صوت

(كريم) ينادى للمرة الرابعة بينما هو يستفيق متلعثمًا فى كلامه :

- ها ؟ إيه ؟ مين ؟ بتقول إيه يا (كريم) ؟
- نظر (كريم) بتعجب من تلعثم والده الغريب , ثم قال له :
- بابا موبايلك بيرن من ربع ساعه !

إندهش (حامد) مما قاله (كريم) ! , لكنه عاد للسؤال :

- (كريم) , إنت بتتكلم بجد , أنا لسة دلوقتى اللى سايبك تدخل أوضتك ! , ربع ساعة اللى هى ربع ساعة بالظبط ولا ده هزار ؟

عاد (كريم) لينظر بتعجب مرة أخرى ثم قال :

- بابا , أنا سيبتك من ربع ساعة ! , ربع ساعة اللى هى ربع ساعة بالظبط يا بابا , الموبايل رن أكتر من تسع مرات وأنا

سامعه من جوة , كنت فاكرك نمت
طلعت لقيتك واقف ثابت وعينيك
مفتوحة على الأخر وقعدت أنادى عليك
ومكنتش سامعنى كأنك كنت نايم وانت
واقف .

إندهش (حامد) من كلام (كريم) ثم أخبره أنه سينام على الأريكة بينما دخل (كريم) لغرفته لكى يلعب.

أعاد (حامد) ظهره للخلف وأراح رأسه على إحدى الوسائد وهو يفكر فى كلام (كريم) الذى أدخل الخوف والشك بداخله , أمسك الهاتف ليرى من كان المتصل ليجد أنه لا يوجد أحدًا إتصل به منذ ثلاثة ساعات ! , كيف ! , (كريم) أكد أنه كان يسمع الهاتف يرن كثيرًا .

نهض (حامد) وهو يجرى على غرفة (كريم) بينما كانت المفاجأة ! , (كريم) كان نائمًا ,

إقترب (حامد) من (كريم) وهو يهزه بلطف ويقول بسخرية :

- إنت لحقت تنام يا (كريم) !

إستفاق (كريم) وهو يفتح عيناه بصعوبة ويقول :

- حمدلله على سلامتك يا بابا , إنت جيت إمتى !

كانت هذه العبارة مثل الصاعقة , إبتعد (حامد) عن (كريم) وهو يعود للخلف بينما بدأت التساؤل والحيرة يظهرون على وجه (كريم) ثم سأل (حامد) بخوف :

- (كريم) , حبيبي هو إنت مطلعتش من شوية حضنتنى لما وصلت ؟ , مطلعتش من شوية تقولى إن الموبايل كان بيرن ؟ .

ظهر التعجب على وجه (كريم) وكأنه يسمع هذا الكلام للمرة الأولى ثم رد ردًا جعل رعب (حامد) يزداد وتتسع عيناه :

- لا يا بابا , أنا نايم من الصبح , أنا حتى مسمعتش حضرتك لما جيت , هو إنت شوفت إيه ؟

صمت (حامد) قليلًا ثم طلب من (كريم) العودة لنومه بينما سيستريح قليلًا على الأريكة .

خرج (حامد) من غرفة (كريم) وجلس على الأريكة وبدأ يفكر فيما حدث , من الذى إحتضنه إذًا عندما وصل للمنزل ! , من الذى أخبره بأن هاتفه يرن ! , غرق (حامد) فى التفكير حتى غرق فى نومه ليبدأ فى الدخول لعالم الأحلام , كان يعلم بتواجده داخل حلم لكنه ترك نفسه لتسبح داخل الحلم . يقف فى مكان أقل ما وصف له أنه جميل ومريح , ها هو يرى أمامه (كريم) إبنه يلعب ويلهو والسعادة تظهر عليه وهو يجرى هنا وهناك بينما يقف (حامد) سعيدًا ولكن فجأة من بعيد يرى ظل أسود يقترب من (كريم) , يراه بوضوح و(كريم) غير منتبه , إقترب أكثر و(حامد) لا يستطيع التحرك من مكانه , إقترب الظل جدًا ل(كريم) ثم إختفى بداخله ,

إنقلب بعدها المكان المريح والجميل إلى مكان يغلبه الليل ولكنه ليل مختلف تمامًا عن الليل الذى يعرفه الجميع , إختفى (كريم) من الحلم بينما ظهر رجل تحت ضوء القمر , أمامه على بُعد أمتار لكنه لا يرى ملامحه , يقف ويمسك بشئ فى يده اليمنى , لكن ما إستطاع (حامد) تمييزه فى مظهر الشخص الذى امامه أنه فى نفس بنيته ولكن لديه لحية سوداء كبيرة تظهر بوضوح , بدأ فى الكلام (حامد) وهو يسأل :

- إنت مين ؟ , أنا اعرفك ؟

بدأ الرجل فى التحرك ببطئ وهو يرد :

- أكيد تعرفنى يا (حامد) , أنا شخص قريب ليك جدًا , أنا زيك بالظبط .

ظهر التساؤل على وجه (حامد) بينما يسأل مرة أخرى :

- زيي بالظبط إزاى , أنا معرفكش ! .

ضحك ضحكة خبيثة بصوت مسموع وملامحه بدأت تتضح أكثر لـ(حامد) بينما هو يقول :

- من خمسة وعشرين سنة بدأت حكايتنا مع بعض , أنا نصك الأسود يا (حامد) , نصك اللى هتورثه لـ(كريم) , هفضل ملازمك طول عمرك يا (حامد) , لحد أخر نفس ليك فى الدنيا دى أنا هفضل موجود .

قال هذه العبارة وملامحه أصبحت واضحه بينما الخوف والرعب و الصدمة بدأوا فى الظهور على وجه (حامد) , الشخص الأخر كان هو الآخر (حامد) ! ولكنه بلحية كثيفة ومظهره مختلف تمامًا , بينما (حامد) كان مصدومًا من رؤيته لنسخه ثانية منه ثم قال الشخص الأخر :

- أنا نصك التانى يا (حامد) , النص اللى قرب خلاص يسيطر على حياتك , أنا لعنتك الأبدية .

قال هذه العبارة ثم رفع يده التى كانت تمسك بسكين غريب الشكل وهو يبتسم .

إستيقظ بعدها على صوت (كريم) الخائف وهو يهزه بعنف لكى يوقظه , إستيقظ ونظر حوله وهو ينظر بعدها لـ(كريم) الذي تملكه الرعب وهو يحتضنه ويقول :

- متخافش ! متخافش ! , إهدى , قولى حصل ايه بس ؟

رد (كريم) بصوت باكي وهو يقول :

- طلعت عشان اشرب لقيتك فاتح عينك على الأخر وكان لونها أبيض وكنت مطلع صوت غريب وبيخوف زي كأنك بتتخنق

! . قاعد بنادى عليك وبحاول أصحيك ليا كتير ! .

ربت (حامد) على كتف (كريم) وهو يحاول تهدئته ثم أخذ أنفاسه بصعوبة وهو يعلم أن هناك شيء غير طبيعى عاد ليحدث بداخله .

****

2015 م ..

مديرية الأمن

—

- صباح الخير يا فندم ؟

قالت هذه العبارة فتاة عشرينية جميلة المظهر شعرها مثل ضوء الشمس وإنسيابي مثل الحرير , تجلس على الكرسى المواجه لـ(زياد) وهى تبتسم وتبدأ فى الكلام :

- أنا إسمي (ياسمين عزت) فى سنة تالتة كلية طب بشرى , كنت جاى أعمل بلاغ عن شخص أنا ساكنه قداموا .
- طيب مبلغتيش ليه فى القسم ؟

صمتت (ياسمين) ثم قالت :

- عشان اللى شوفته غريب شوية ! .
- إتفضلى , أنا سامعك .
- من حوالى خمس أيام على الساعة (7 الصبح) كنت قاعدة فى البلكونة شوية , لقيت عربية جيراننا اللى ساكن قدامنا بتقف قدام بيته وكان بيبص حواليه كتير والحمدلله إنه مشافنيش , فتح شنطة العربية وطلع زي ما يكون حد ملفوف بملاية من راسه لحد رجله وشاله على كتفه وفتح باب عمارته ودخله وقفل عربيته وقفل باب العمارة وراه .

نظر (زياد) بأهتمام شديد وهو يميل على المكتب ويسأل :

- إسمه إيه ؟
- (حامد على)

كان الاسم مثل الصاعقة التى نزلت على رأس (زياد) , بدأ الشك يلعب لعبته المفضلة وتخيل أن الشخص الملفوف بالملاية هو (مصطفي) ولكن هل قتله ؟ , لماذا خطفه من الأصل ؟ , ثم عاد للسؤال مرة أخري لـ(ياسمين) :

- هو بيته ده اللى هو فى (سيدي بشر) ؟
- لا حضرتك ده مكتبه , بيته فى شارع (سعد زغلول) فى (محطة الرمل) .

أمسك (زياد) ورقة صغيرة وقلم ودَون العنوان وهو يقول :

- طيب ممكن حضرتك تقوليلي تصرفات (حامد) عامله إزاى ؟ , يعنى هل هو

عصبى ؟ , منفعل ؟ , أى حاجه تدل على العنف ؟

- لا بالعكس أستاذ (حامد) شخص إجتماعى وخدوم جدًا وعنده إبنه (كريم) ولد حلو وجميل وهادى بس مر بفترة صعبة جدًا بسبب وفاة مراته بالسرطان السنة اللى فاتت .
- طيب إيه مخلى حضرتك متأكده إن الملاية ديه كان جواها شخص ؟

أخذت أنفاسها ثم قالت :

- نظراته كانت غريبة , كانت كأن واحد عامل مصيبة حضرتك , بعد كده باين جدًا كان إن ده جسم إنسان!.

أشعل (زياد) سيجارة ثم قال :

- تمام , شكرًا لحضرتك وياريت لو في أى جديد تبلغينا يا أستاذة (ياسمين) .

خرجت (ياسمين) من الغرفة بينما دخل النقيب (مينا) وهو يقدم تقارير الجثث التى وجدت داخل بيت (سعيد المصرى) .

نظر (زياد) بتمعن وتركيز فى الورق بينما يحاول معرفة العامل المشترك غير سكين (الجزار) , أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة ثم نظر للنقيب (مينا) وهو يطلب منه تكليف مراقب للعنوان المكتوب على الورقة التى أعطاها له وأن يأتى له بتقرير خلال إثنين وسبعون ساعه .

هز النقيب (مينا) رأسه بالموافقه وهو يقول :

- تحت أمرك يا (زياد) بيه .

خرج (مينا) من غرفته بينما أمسك (زياد) بهاتفه ليحادث (طارق) .

****

2015 م ..

- **مساء الخير ؟**

قالت (مروة) هذه العبارة وهى تصافح (حامد) وتجلس على الكرسي المواجه لمكتبه وهى تبدأ بالكلام وتقول:

- **ياريت حضرتك تشرحلى بالتفصيل عشان أنا مش فاهمة أى حاجه .**

إبتسم (حامد) وهو ينهض ويقول :

- **فى الحقيقة , القضية لسة مخلصتش أو بمعنى تانى أنا مقدمتهاش أساسًا .**

ظهر التساؤل وكأنها لم تسمع ما يقوله لتعيد السؤال مرة أخرى :

- **أستاذ (حامد) حضرتك قولتلى القضية نجحت , كنت عايز أعرف التفاصيل أرجوك ! .**

عاد (حامد) ليبتسم مرة أخرى وهو يقول :

- القضية متقدمتش أساسًا يا مدام (مروة) , هفَهِمك دلوقتى .

أخذ رشفة من كوب العصير أمامه وهو يكمل :

- قبل ما أقدم قضيتك , عملت بحث عميق شوية عن حضرتك .

كان سيكمل ولكنه إبتسم إبتسامه خبيثة وهو يقول :

- إنهاردة يوم حظى فعلًا .

طلب منها أخذ رشفة من كوب العصير الذي أمامها هو يعطى لها وعدًا أن يشرح لها كل شيء .

أخذت (مروة) رشفة ووراءها الأخرى والأخرى والأخرى وهى تنهى الكوب و تقول :

- إتفضل أنا سامعاك .

وقف (حامد) مواجهًا للكرسى الذي تجلس عليه (مروة) وهو يقول ضاحكًا :

- طيب خلينى أعترف إعتراف الأول يا مدام (مروة) , أنا حاططلك نسبة صغيرة من مخدر (الترياز ولام) , متخافيش هتلاقى نفسك بتروحى فى النوم ببطء .

شعرت (مروة) بتخدير جسدها وأنها لا تستطيع التحرك ولكنها تسمع ما يقوله (حامد) بوضوح .

جلس (حامد) أمامها وهو يبدأ فى الكلام ويضع قدمًا فوق الأخرى ويقول :

- فى الحقيقة مفيش حد إسمه (حامد على) يا مدام (مروة الصياد) , لو دققتى فى وشي كويس هتعرفى أنا مين .

قال الجملة الأخيرة وهو يقترب بوجهه ويبتسم ابتسامه خبيثة .

****

(خبر من إحدى القنوات التليفزيونية)

" العثور على جثة فتاة داخل منزلها غرب منطقة العامرية مذبوحًة وقدمها مبتورة . ولازالت الشرطة تحاول البحث عن الفاعل ."

****

2015 م ..

- **تحت أمرك يا فندم .**

قالها المُخبِر وهو يجلس على الكرسى المواجه لمكتب (زياد) وينظر له وهو يمسك ببضعة أوراق .

رد (زياد) وهو لازال ينظر للأوراق التى يمسكها :

- **بلغنى ايه الجديد يا (سيد) ؟**
- **حضرتك أنا كاتب كل خط سيره من أول يوم 1/3 لحد إنهاردة .**

أمسك (زياد) بالأوراق بينما يكمل (سيد) كلامه :

بيطلع الساعة (8 الصبح) على مكتبه وبيخلص الساعة (5 الضهر) بيروح بعدها القهوة بيقابل أصحابه لحد الساعة (7 بليل) وبعدها بيروح السوبر ماركت بيجيب طلبات وبيرجع على البيت الساعة (9 بليل) , فى اليوم الأول والتانى كان الوضع طبيعى لحد الساعة (2 بعد نص الليل) فجر اليوم التالت , خرج من بيته و فتح شنطة العربية وجاب منها شنطة لونها أسود جلد وبعدها قفل شنطة العربية وكان بيبص كتير حواليه , وهو بيبص حواليه إتكعبل فى حاجه قدامه والشنطة وقعت منه ووقع كل اللى فيها وكان عبارة عن " شوية و مسدس و خزنتين و علبة على ما أعتقد إنها مخدر " , بعد كده شال اللى وقع وحطه فى الشنطة تانى ودخل جرى على العمارة وقفلها بسرعه .

تمعن (زياد) فى قراءة الأوراق التى امامه وهو يشكر (سيد) ويقول له :

- شكرا يا (سيد) , تقدر تتفضل إنت .

نهض (سيد) وغادر الغرفة بينما دخل شقيقه (طارق) وهو يسأله عن نتائج التقارير .

أشعل (زياد) سيجارة وهو يزفر دخانها بقوة ثم بدأ يتكلم وهو يقول :

- (حامد على) هو السفاح .

ظهر على وجه (طارق) الانبهار ونوعًا ما من السخرية لأن (طارق) هو من أكد أن هناك شيئًا غير طبيعيًا يدور حول هذا المحامى , كان يتسائل كيف شوهد (مصطفي) آخر مرة وهو عند هذا المحامى ثم يختفى بعدها ويُنكر المحامى أن له صلة بإختفاؤه .

حل الصمت للحظات ثم عاد (زياد) للحديث ووجهه يتحول للغضب وهو يزفر دخان سيجارته :

- بكرة هنطلع بالقوات ونقبض على السفاح ده , أكيد هو اللى خاطف (مصطفى) وكلام البنت دى طلع صح

أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة ثم أكمل :

- اللى مستغرب منه إنه ممكن يكون له علاقة بالجثتين اللى لقيناهم في بيت (سعيد المصرى) , أكيد هو عارف إزاى يخبى حاجه زى كده , زى ما عرف يخبى أى أثر له فى الجريميتين اللى حصلوا فى الشهرين اللى فاتوا.

أومأ (طارق) رأسه بالموافقة على ما يقوله (زياد) ثم قال بعدها:

- متقلقش يا (زياد) هنجيبه حتى لو كان تحت الأرض.

نظر (زياد) لشقيقه واومأ رأسه بالموافقة على كلامه .

****

- (حامد) , (هدى) , (سالم) ؟ , إنتوا فين ؟

قالت (أسماء) العبارة السابقة بصوت منخفض وهى تنادى على الأطفال بعدما لاحظت خروجهم من باب الشقه .

خرجت من الباب وهى تنظر حولها وكانت تسمع بوضوح أصواتهم الخافتة من الطابق الثانى , صعدت (أسماء) بهدوء شديد وهى تتحسس الذى أمامها حتى لا تصطدم بشئ .

وصلت للطابق الثانى ورأت باب الشقة مفتوح وتخرج منه إضاءة المصابيح الحمراء الخافته ,

دخلت (أسماء) بهدوء الشقة وواربت الباب وهى ترى الأطفال يديرون ظهرهم لها ويقفون أمام شيئًا ما , حاولت (أسماء) التدقيق لرؤية ما يقفون أمامه ولكنها لم ترى ما يقف امامه الأطفال , نادت بصوتٍ خفيف عليهم ولكنهم لم يسمعوها , أو بمعنى أخر كانوا لا يسمعوها , كانوا يقفون بلا حركة متجمدين فى أماكنهم .

إقتربت (أسماء) بهدوء من الأطفال ولكن سرعان ما قذفت بسرعة شديدة بعيدًا ناحية باب الشقه وكأن هناك من أمسكها وألقى بها فى الهواء بعيدًا , إصطدمت رأس (أسماء) بالحائط بشدة فبدأ الدم يسيل من مؤخرة رأسها وكانت تفقد الوعى ببطء ولكنا حاولت النهوض بصعوبة ولكنها سقطت على الأرض وهى لازالت تنادى على الأطفال بصعوبة بينما أدار (حامد) رأسه بطريقة غريبة جدًا وكأن عظامه غير موجودة , ليس فقط هذا ما لاحظته , عين (حامد) كانت بيضاء بشكل مرعب ومخيف ! , كان تظهر على وجهه إبتسامة مرعبة ,

بعدها نظر (سالم) و (هدى) بنفس طريقة (حامد) وكأن عظامهم مصنوعة من القطن , بدأوا فى السير بخطوات بطيئة نحو (أسماء) العاجزة تمامًا عن الحركة , وفى ثوانٍ قليلة إستفاق (سالم) بغرابة شديدة و عاد لطبيعته وهو يسقط على الأرض واضعًا يده على رأسه من الألم ولكنه كان يرى (حامد) و (هدى) يقتربون من (أسماء) العاجزة عن الحركة , نهض سريعًا وجرى ناحية (أسماء) ولكنه قُذِف بعيدًا بجانب النافذة , كان يتألم جراء إصطدامه الشديد بالحائط ولكنه نهض بصعوبة مرة أخرى ونجح فى الوصول لـ(أسماء) وأمسكها من ذراعها وهى تنهض معه بصعوبة وخرجا من باب الشقة وورائهما بحركة بطيئة كالموتى (حامد) و (هدى) الذان كانوا بالفعل مثل الموتى .

نزل (سالم) وهو يمسك بـ(أسماء) التى كانت بدأت تفقد الوعى ببطء ووصلا لباب شقة الطابق الأرضى ولكن قبل دخولهم أُغلق الباب بقوة فى

وجههم و من تحت عقب الباب بدأ ضوء أبيض غريب و قوى فى الظهور وهو ينير ويطفئ بسرعة شديدة وأصوات الصراخ بدأت ترتفع بشدة فى الداخل وفى الناحية الأخرى بدأ وابل من الرصاص يُطلق من الخارج ولكن ناحية الطابق الثانى , كان (سالم) يرى بوضوح سبعة سيارات يقفون فى الخارج يطلقون أعيرة نارية ولكن تجاه الطابق الثانى .

سمع (سالم) صوت (حامد) و (هدى) وهما يصرخان ويناديان (سالم) بينما هو يصرخ بصوت عالى حتى يسمعوه وبالفعل وجد (سالم) (حامد) و (هدى) ينزلون جريًا على السلم ويظهر على وجههم الخوف الشديد , بالفعل يبدو أنهم إستفاقوا على صوت وابل الرصاص , بدأ (حامد) يهدأ قليلًا ولازال أمطار الطلقات النارية بالخارج مستمر , كان لازال الضوء الأبيض الذي يظهر من تحت عقب الباب يظهر بقوة ولكن أصوات الصراخ إختفت , بدأ يلاحظ (سالم) و (حامد) إنسحاب الرجال

الذين يطلقون الرصاص بالخارج بعدما لاحظوا سقوط عدد كثير من الرجال , تأكدوا من أنهم رجال (الصياد) عندما رأى (سالم) و(حامد) إحدى أبناء (سعد الصياد) وهو (جابر) يصيح بصوت مرتفع فى الباقى من رجاله بإيقاف إطلاق الرصاص وركوب السيارات والإنسحاب .

بدأت (أسماء) تستعيد وعيها وهى تنهض وتطلب من (هدى) البقاء فى مكانها , نهض وهى تمسك برأسها و تمشى بخطوات بطيئة تجاه الباب الذى فُتح ببطئ وهو يخرج صوت صرير عالٍ , دخلت بخطوات بطيئة كأن الزمن تقدم بها ستون عامًا , ولكن سرعان ما إتسعت عيناها بشدة وهى تضع يدها على فمها لتمنع خروج صرختها !, بحر من الجثث الملقاة على وجهها والدم يغطيها ! , مذبحة للنساء والأطفال , صُدمت أكثر وهى تحاول الأ تصدق ما تراه , شقيقتها (كريمة) تمسك بدميتها وهى ملقية على وجهها والدم يسيل منها , هرعت (أسماء) سريعًا ناحية شقيقتها وهى

تمسكها لكى توقظها ولكن بلا فائدة , الدم كان يسيل من عنق (كريمة) ورأسها كذلك , بدأت (أسماء) فى البكاء بحرقة وهى تأخذ (كريمة) فى أحضانها بينما كان (حامد) يراها من الخارج وهو ينظر بصدمة شديدة ولا يريد الدخول , كان يعلم أن أمه بالتأكيد ضمن هؤلاء النساء الذين قُتلوا , بدأت الدموع تسيل من عيناه بشدة , تركت (أسماء) شقيقتها (كريمة) وهى تريح رأسها على الأرض وتُقبل جبينها وتنظر لها للمرة الأخيرة ثم نهضت وهى تتجه للباب وهى تغلقه وراءها وتربُت على كتف (حامد) لتحاول تهدئته .

جلست على ركبتها وهى تنظر لـ(حامد) وتسأله وتقول:

- (حامد) , ممكن تحكيلى ايه حصل فوق ؟

مسح (حامد) دموعه وبدأ يحكى :

- إحنا وبنلعب كان الباب جنبنا وكنا سامعين صوت جاى من فوق , صوت

غريب زى حد بينادى على أسمائنا , قومت أنا و (سالم) و(هدى) كأن في مغناطيس كان بيسحبنا , طلعنا ولقينا باب الشقه بيتفتح لوحده زى كأن في حد إحنا مش شايفينه بيزق الباب يفتحه , لقينا النور الأحمر إشتغل مرة واحدة ومنعرفش مين ولع النور ده , لقينا صندوق غريب موجود فى ركن من الشقة وكان طالع منه نور أبيض قوى وبعدها إختفى النور فجأة , وقفنا قدامه أنا و (سالم) و (هدى) وبعدها حسينا بحاجة غريبة بتدخل جوانا كأنها بتحرقنا من جوة , حاجه غريبة جدًا دخلت وحسينا بوجع لمدة ثوانى قليلة بعدها لقيت نفسي زى كأنى صحيت من الموت على صوت ضرب النار الشديد وملقيتش غير (هدى) بس اللى معايا عشان كده بدأنا نصرخ وننادي على (سالم) عشان ملقيناهوش معانا ,

بعدها سمعنا صوت (سالم) من تحت وكنت مستغرب إمتى نزل تحت بالسرعة دي وليه أنا و (هدى) كنا واقفين على السلم؟

نظرت (أسماء) بتحسر وندم على عدم تصديقها لكلام شقيقتها (كريمة) وأن ما رأته فى النهاية كان غير طبيعيًا و حقيقيًا , ثم ربتت على كتفه وهى تقول :

- أنا مش عايزة أى حد يعرف اللى حصل ده يا (حامد) ومتقولش لـ(سالم) دلوقتى اللى شوفته جوة ده , إتفقنا ؟
- إتفقنا .

أمسكت (أسماء) بيد (حامد) وهى تخرج لـ(سالم) و (هدى) الذين يجلسون فى هدوء ينتظروهم , أمسكت (أسماء) بالأطفال ثم خرجت بهم وهى تعلم أن هناك سر مرعب وراء هذا المنزل وأنها بكل تأكيد ستعود مرة أخرى .

**

2016 م ..

شارع سعد زغلول - محطة الرمل

القوات تنتشر سريعًا بهدوء حول المنزل , تقف سيارة شرطة ويخرج منها المقدمان (زياد) و (طارق) يرتديان سترات واقية للرصاص تحسبًا لتعامل (حامد) بالأعيرة النارية معهم .

خرج السكان من نوافذهم وهم يتسائلون عن سبب تواجد هذه القوات ومحاوطتهم لهذا المنزل بينما تطلب القوات منهم الهدوء وإغلاق النوافذ وعدم إصدار أى صوت .

يفتح واحد من القوات باب المنزل بهدوء وبيراعه ثم يدخل بهدوء فى صفٍ واحد مجموعة مكونة من سبعة أفراد من القوات والمقدم (زياد)

والمقدم (طارق) يتقدمان المجموعة ويصعدون السلم حتى الطابق الثالث بهدوء شديد .

وصلت المجموعة إلى باب المنزل وهم يقفون بإنتظام بينما يشير (زياد) لأحد الأفراد بركل الباب بقوة وعدم التعامل بالأعيرة النارية إلا في حالة تعامل المجرم مع المجموعة بالرصاص لتواجد طفل بالداخل .

أومأ فرد المجموعة رأسه متفهمًا لما يشير له (زياد) , ثم أمر الجميع بالعودة للوراء بضعة أمتار والإستعداد للهجوم .

إستعد فرد القوات جيدًا وهو ينطق الشهادة ويركل الباب بقوة لينكسر الباب من شدة الركلة ولكن سرعان ما قوبِل بطلقة نارية سريعة من داخل المنزل إستقرت فى رأسه وكانت من (حامد) ليبدأ بعدها وابل من الأعيرة يطلق ناحية (حامد) الذى كان مستعدًا ببراعة للدفاع ويبدو أن أحدًا ما أخبره بهجوم القوات , أطلق (حامد) بعض الأعيرة النارية

التى فرقت المجموعة داخل وخارج المنزل بينما كان (حامد) يتفوق عليهم بإغلاقه لأضواء الشقة حتى لا يستطيعون تحديد مكانه ومكان الرصاصات الخارجة , وابل الرصاص لازال مستمرًا بينما ينهض (حامد) ويطلق طلقة أخرى تصيب فرد أخر من القوات وبعدها ينزل بكامل جسده خلف التلفاز بينما لا تستطيع القوات تحديد مكان الطلقات , حاول (طارق) إضاءة الأضواء ولكن بلا جدوى , يبدو أن (حامد) أغلق الكابل العمومى لمنزله , أربعة من رجال القوات سقطوا من طلقات (حامد) التى كانت على ما يبدو بارعة ويبدو أنه تدرب عليها جيدًا . كان فرد القوات الأخير يسحب الأفراد المصابة بينما (زياد) و (طارق) مستمرون فى إطلاق الأعيرة النارية بعشوائية داخل المنزل المظلم .

أدار (زياد) وجهه وجسده خلف إحدى الحوائط ثم بدأ يتكلم بنبرة غاضبة :

- سَلِم نفسك يا (حامد) , إنت كده هتودى نفسك فى داهية , سَلِم نفسك لإن كدة إنت بتضر نفسك وبتعرض حياة إبنك للخطر ومش هتعرف تهرب فى الأخر .

رفض (حامد) الإستجابة لكلام (زياد) ونهض بكامل جسده وهو يستعد لإطلاق رصاصات عليه ليتفاجئ برصاصة تخترق قدمه وتسقطه وهو يعود للخلف , لاحظ (طارق) ظل يقف ويستعد لإطلاق النار فأطلق طلقة سريعة أصابت قدم (حامد) و أنقذت (زياد) , صرخ (حامد) من الألم ولكنه لازال لم يستسلم وأمسك ببندقية آلية كانت بجانبه ووضع خزنة بها وسحب أجزاءها وإستعد لإطلاق النار عليهم , نهض بكامل جسده بينما أطلق (زياد) طلقة نارية تجاه (حامد) الذى أغمض عينه وأعتقد أنها أصابته ولكنها أصابت شخصًا أخر , كان (كريم) هو من أصيب بالطلقة النارية فى صدره ! , لم يلاحظ (زياد)

أو حتى (حامد) أن (كريم) رأى (زياد) وهو يسحب أجزاء مسدسه ليستعد لإطلاق رصاصة على (حامد) فخرج جريًا بسرعة ليقف فى وجه أبيه الذى لم يلاحظ أن (كريم) أصيب مباشرة فى اللحظة الأخيرة قبل أن تصيبه , إتسعت عين (حامد) بعدما رأى (كريم) يسقط أمامه والرصاصة مستقرة فى صدره , أمسكه وهو يبكى بحرقة عليه ويحاول إيقاظه بينما يقف (زياد) مصدومًا مما يسمعه , لقد أصاب (كريم) إبن (حامد) بالخطأ بينما (طارق) ينادى على (زياد) وهو لا يستجيب من الصدمة , كانوا لا يريدون إطلاق أى طلقة أخرى لعلمهم بأن (حامد) يمتلك بندقية آلية ثقيلة .

عاد (طارق) ليتكلم وهو يقول :

- سَلِم نفسك يا (حامد) , ملهاش لازمة تقاوم أكتر من كدة .

ليستقبل (طارق) مباشرة بعد هذه العبارة أمطار من الأعيرة النارية بالداخل , يبدو أن (حامد) أصبح لا يهمه أى شئ الأن , إستمر (حامد) بإطلاق اعيرة نارية كثيفة للغاية جعلت (زياد) و (طارق) شبه متجمدين بمكانهم لا يستطيعوا إطلاق طلقة واحدة خوفًا من الطلقات النارية العشوائية التى تخرج , أصيب فرد القوات الخامس بأكثر من إثنان وعشرون طلقة نارية بعدما لاحظ (حامد) وقوفه على السلم ليضطر لإطلاق نصف خزنة كاملة على فرد القوات الذى سقط أرضًا بجانب (زياد) .

نهض بعدها (حامد) وهو يترك (كريم) على الأرض ذاهبًا للمطبخ لباب خلفى موجود يوجد به سلالم تؤدى للشارع الخلفى للعمارة .

كان (حامد) لا يشعر بألم الطلقة التى أصابت قدمه بينما هو يجرى على السلالم نزولًا حتى

وصل للشارع الخلفى وهو يجرى بصعوبة هربًا من القوات .

****

مرت خمسة دقائق ولم يطلق (حامد) أى طلقة نارية أخرى , أشار (زياد) لـ(طارق) للخروج من الساتر الذين يأخذونه بحرص وهدوء , أشعل (زياد) كشافه وهو يمشى بخطوات بطيئة وحريصة لداخل المنزل , كان يضيئ الكشاف فى جميع أركان المنزل ولا يجد أحدًا حتى وجد جثة طفل ملقية على ظهرها فأدرك سريعًا أن هذا بالفعل (كريم) وأنه هو من أُطلق الرصاصة عليه.

جلس (زياد) على ركبته وهو يقول بحزن شديد :

- أنا اسف , أنا كنت عايز أطلعك من هنا وإنت سليم , مكنتش أعرف إن انت اللى

وقفت في وش الرصاصة عشان تفدى أبوك .

نظر (زياد) للأرض وبعدها وضع يديه على عينين (كريم) وأغلقهم وهو يطلب فى اللاسلكى حضور سيارة إسعاف .

ربت (طارق) على كتف (زياد) وهو يقول له:

- هنجيبه , مش هيستخبى كتير يا (زياد) , هو هرب من باب فى المطبخ يوديه على الشارع اللى ورانا ده , القوات خرجت (مصطفي) , لقيوه فى البدروم مربوط ومصاب فى رجله وإيده .

نهض (زياد) وهو لازال ينظر لـ(كريم) الذى دفع ثمن جرائم والده وهو يعود للحديث فى اللاسلكى لإحدى الأفراد الموجودين بالأسفل وهو يقول :

- القوات تتجه للشارع الخلفى وتنشط المنطقة بالكامل لحد ما تلاقى شخص

مصاب فى رجله بطلقة نارية , حاولوا تلحقوه قبل ما يهرب .

قال هذه العبارة ثم طلب من (طارق) المكوث لمتابعة الوضع بينما سيذهب ليكتشف الباب المتواجد بالمطبخ .

دخل للمطبخ ونظر للباب بتمعن وتركيز ثم فتحه وهو ينظر خلفه مرة أخيرة لـ(كريم) الملقى على الأرض ثم أدار وجهه واغلق الباب وراءه .

****

(خبر من إحدى القنوات التليفزيونية)

" فشلت القوات المركزية والشرطة فى القبض على سفاح الاسكندرية المشهور بعد تبادل إطلاق للأعيرة النارية الثقيلة إستمر لأكثر من ثلاثين دقيقة هرب بعدها السفاح من أعين القوات والشرطة بعد إصابته فى قدمه , مما أسفر فى النهاية عن مقتل ثلاثه من أفراد القوات المركزية و

نجل السفاح الذى يبلغ من العمر تسعة أعوام بينما أصيب فرد واحد من القوات , ولازالت الشرطة تحاول البحث عن السفاح الهارب . "

****

2016 م -

احدي عمارات المناطق السكنية في منطقة العامرية

ـــــ

بدأت الرؤية تظهر بصعوبة ليري رجل ذو شعر كثيف ولحية كثيفة يجلس على كرسي وامامه منضدة وعليها طبق و بداخله شئ يأكله ثم امسك منديل ليمسح ما هو على فمه وبدأ في الكلام قائلًا :

- اللحمة طعمها لذيذ جدًا وشبعتني الحمدلله . (شهاب) مش كدة ؟

ظهر التساؤل على وجه (شهاب) الذى كان يشعر بألم شديد فى طرفه السفلى , حاول أن يحرك جسده ولكنه لم يستطيع .

أكمل بعدها الشخص الجالس أمامه وهو يخرج قطعة عالقة من اللحم من أسنانه وهو يقول :

- متخافش يا (شهاب) المخدر هيروح كمان دقايق وهتفوق .

سأل بعدها (شهاب) بصوت مرهق :

- إنت دخلت هنا إزاى ؟

ضحك الرجل ضحكة بها سخرية وهو يقول :

- مش مهم دخلت ازاي , لما تفوق هتعرف كويس أنا دخلت هنا إزاى يا (شهاب)

عاد الألم الشديد لـ(شهاب) ويبدو أن أثار المخدر بدأت تزول , حرك رقبته قليلًا وهو يقول بصوت متخدر :

- أنا مش حاسس بإيدي ورجلي ليه ؟

استفاق بعدها ليحرك رقبته اكثر بصعوبة لأسفل ليجد الدماء تملئ كامل جسده وذراعه وجزء من قدمه مبتورة تمامًا وتظهر منها العظام ,

بدأ في الصراخ وهو يقول :

- ايه ده ! , إنت عملت فيا إيه يا مجنون إنت !

رد الرجل وهو لازال يجلس على الكرسى ويضع قدمًا فوق الأخرى في برود تام وبسخرية :

- كانوا مضايقنى , فقطعتهم .

نهض بعدها ليأتى بكوب من العصير وهو يضحك ويدندن بإحدى المقاطع من اغنية للسيدة (ام كلثوم) .

" إسأل روحك إسأل قلبك

قبل ما تسأل إيه غيرني

أنا غيرني عذابي في حبك

بعد ما كان أملي مصبرني

غدرك بيا أثر فيا

و إتغيرت شوية شوية إتغيرت و مش بإيديا

و بديت أطوي حنيني إليك

و أكره ضعفي و صبري عليك

و إخترت أبعد و عرفت أعند

حتى الهجر قدرت عليه

شوف القسوة بتعمل إيه

كنت زمان بلاقيك بحناني

بحر محبة و بر أمان "

كان (شهاب) يسمعه وهو يصرخ ويتألم بشده ويبكي :

- انا عملتلك ايه ! , أنا معرفكش ولا إنت تعرفنى .

أمسك الرجل بإحدى الكراسى ووضعها أمام (شهاب) ليصبح جالسًا مباشرة فى وجهه , ثم وضع سكين غريب الشكل على منضدة صغيرة كانت بجانبه وأمسك بكوب العصير وبدأ يتحدث :

- فاكر (مروة) يا (شهاب) ؟

إتسعت عين (شهاب) وكادت أن تنفجر من الغضب وهو يحاول أن يفك نفسه ولكن كانت الحبال المربوط بها محكمة بشدة لذا أخذ يضحك الرجل الذى أمامه على شكل (شهاب) وهو يحاول التملص من الحبال ثم أكمل:

- مراتك كانت بتكرهك يا (شهاب) , بس غبية , كانت بتحبك أكتر ما بتكرهك , كانت تعبانه من اللى إنت بتعملوا فيها من ستات وخمرة و قمار وبتضيع فلوسك

على أى حاجه , حالتها النفسية كانت وحشة جدًا , وإنت السبب كنت , (يوسف) إبنك لما مات المفروض كنت تبقى حنين عليها مش وَحش كاسر تضربها وقت ما مزاجك يبقي وحش وتصالحها وقت مزاجك ما يبقي رايق , جات ليا فى يوم فى مكتبي وهى بتشتكى وحالتها زى الزفت وطلبت منى إنى ارفع دعوى للطلاق منك , (حامد على) فى الفترة دي كان معروف إنه أشطر محامى فى القضايا ديه ونجحت خطتى وكلمتنى وجات ليا .

سكت قليلًا مرة أخرى وهو يأخذ أخر رشفة من كوب العصير ويكمل :

- عارف ؟ , إنت متستحقش إنك تعيش اصلًا , بعيد عن إنك من كلاب عيلة (الصياد) ودى حاجه مش هتكلم فيها دلوقتى , رجلك وإيديك دول قطعتهملك عشان كانوا بيتمدوا على مراتك , حرمتك

منهم عشان تعرف قيمتهم وقيمة مراتك كويس , و مراتك ؟ , أنا رحمتها من العذاب ده , دبحتها , لإنها كانت مذنبة زيها زيك , كانت مذنبة عشان كانت بتحبك , مذنبة عشان كانت صابرة على واحد زيك يا (شهاب) , حطيتلها مخدر وحكيتلها أنا مين وايه السبب اللى هيخلينى أقتلها ورغم كده قاومت بس فى النهاية معرفتش تفلت من عزرائيل , وقطعتلها رجلها هى كمان كذكرى عشان أبقى علِمت على كل ولاد (الصياد) .

نهض وهو يكمل بنبرة غاضبة :

- باقى إتنين بس من ولاد (الصياد) هاخد حقى منهم يا (شهاب) , واحد منهم هو الراس الكبيرة اللى بجهزلها ليا فترة كبيرة جدًا وأهو خلاص قرب معاده . تعاستى الأبدية خلاص هتخلص يا (شهاب) , بس

مش هقولك هو مين هتلاقيه محصلك على جهنم بعد فترة .

كان (شهاب) يبكى بحرقة على زوجته وهو يقول :

- ليه عملت كده ؟ , مكانتش تستحق إنها تموت , حتى عيلة (الصياد) عمرها ما كانت عاملة مشاكل مع حد إسمه (حامد على) .

ضحك بصوت مرتفع على ما قاله (شهاب) ثم قال :

- فى الحقيقة يا (شهاب) أنا إسمى الحقيقى مش (حامد على) , لو بصيت فى وشي كويس هتعرف أنا مين .

إبتسم وهو يقرب وجهه ويمسك بالسكين ويقول :

" اللعنة رجعت تانى علي أهل إسكندرية , الضلمة هترجع تحاوطهم من كل ناحية مرة تاني , هيرجعوا

يدفعوا تمن اللى عملوه كلهم . هيتمنوا إن مكانش المفروض ييجي اليوم اللى ارجعلهم فيه , هاخد أرواحهم زي ما اخدوا روحي مني ! , كمان عيلة (الصياد) قريب مش هيبقالها وجود فى إسكندرية ولا حتى الدنيا , بعدها هاخد حقى من إسكندرية كلها . "

ثم رفع السكين ونحر عنق (شهاب) تمامًا وابتسم ابتسامة شريرة وهو يرتدي قناعه الأسود .

****

القاهرة – 2003 م

يجلس (حامد) و(سالم) على أريكة وأمامهم الصندوق الملعون , لازالوا فى وضع الصدمة مما رأوه , لا يصدقوا بعد أن جثة (سلوى) موجودة بالداخل , كل ما فعلوه أنهم أغلقوا باب غرفتها

وحملوا الصندوق للخارج وبعدها جلسوا يفكرون فيما سيحدث .

(سالم) قطع حاجز الصمت وهو يقول :

- هنعمل إيه يا (حامد) ؟

كان (حامد) ينظر للصندوق , كان يحاول أن يتذكر متى شاهد هذا الصندوق لكن عقله كان يؤلمه من كثرة الأحداث المتداخله برأسه , فى نفس ذات اللحظة وبدون مقدمات كان هناك وابل من الرصاص يخترق المنزل , أعيرة نارية كسرت زجاج نوافذ المنزل بينما هرع (حامد) ليختبئ من الأمطار النارية خلف إحدى الكراسى , الأعيرة النارية كانت تخترق كل شئ والمصدر كان مجهول من الخارج , هدأت قليلًا الأعيرة النارية ورفع (حامد) جزء من جسده وهو يحاول أن يرى ما هو خارج النافذه التى دُمرت تمامًا , كانت الصدمة على وجهه عندما رأى سيارتين متوقفتين ويظهر ثلاثة رجال يعرفهم جيدًا , العم (حسان) والعم (بكري) أصدقاء والده , و

(جابر) ! ما الذي يفعله (جابر) أحد أبناء (الصياد) هنا ؟ التساؤلات كانت تؤلم رأسه أكثر , فجأه تذكر (سالم) شقيقه , لا يراه ولا يسمع صوته , تحرك قليلًا حتى يبحث فى الناحية الأخرى من المنزل على شقيقه ولكنه لم يجده , كان (حامد) يشعر بألم شديد فى قدمه , كان قد أصيب برصاصة فى قدمه وهو يهرب ولكنه لم يشعر بالألم عندما أصيب , نظر حوله بهدوء ليعيد البحث عن (سالم) لكنه وجد باب غرفة (سلوى) مفتوح , تسلل بهدوء حتى وصل لغرفة شقيقته , وجد جثة شقيقته كما هى ولكن نافذة الغرفة مفتوحة ! , لقد فر سالمًا , هدأ (حامد) قليلًا عندما عرف أن (سالم) قد هرب , بينما كان يفقد وعيه ببطئ كان يسمع صوت فتح باب المنزل وصوت خطوات أقدام قادمة نحو غرفة (سلوى) فقام سريعًا وأغلق الغرفة بالمفتاح , كان يسمع جيدًا صوت (جابر) وهو يحتفل فرحًا بوجود الصندوق لكن سرعان ما تبدلت الأجواء فجأه وبدل من أصوات الفرحة التى

كانت مسموعه بوضوح أصبح يسمع صوت صراخ وطلقات نارية قادم من الخارج وصوت (جابر) وهو يصرخ ويقول :

- إهربوا بسرعه , إهربوا وسيبوا الصندوق !

كان أصوات الصراخ ترتفع بشده من الرجال وبعدها حل الهدوء والسكون التام فجأه .

تحامل (حامد) على نفسه وفتح باب غرفته وخرج ليجد منظرًا أصابه بالرعب والخوف جعله يعود للخلف.

جثث كثيرة ملقية على الأرض وكلهم مذبوحون و مكسور أعناقهم والدماء تغطيهم !! , تذكر متى رأى مثل هذا المشهد من قبل ! .

لم يفكر كثيرًا وخرج سريعًا من المنزل هربًا وهو يبكى وجرى , لا يعرف إلى أين يذهب , دُمرت حياته , والده قاتل و شقيقته قُتلت وشقيقه هرب ولا يعلم إلى أين ذهب .

سقط على الأرض من ألم الطلقة الشديد الذي أصاب قدمه فاقدًا للوعى وهو يرى الظلام يحل أكثر ويقترب منه .

نهاية كانت حزينة لـ(حامد) الذي حارب منذ اليوم المشئوم وحتى هذه الليلة بينما رأى ظل لأحدٍ ما يقترب منه بعدها لم يشعر بأى شيء .

****

2017 م ..

الإسكندرية

صوان عزاء كبير ويجلس بيه الكثير من الناس الذين كانوا يعرفون (مروان) و أصدقاءه وأقاربه وها هو الحاج (جابر) يقف بحزن شديد وكأن الزمن تقدم به كثيرًا جدًا , يقف ليتلقى العزاء وهو ينظر للأرض ولازال فى حالة صدمة من وفاة نجله الذى لطالما كان طيب القلب وهادئًا .

- البقية فى حياتك يا حاج (جابر) , شد حيلك .

قال (زياد) هذه العبارة وهو يعزى ويواسى الحاج (جابر) بعدما فقد إبنه , بينما بوجه حزين رد الحاج (جابر) :

- حياتك الباقية يابني , منجيلكش فى حاجة وحشة ابدًا يا (زياد) .

دخل شخصًا أخر وهو يقول بحزن ويصافح الحاج (جابر) :

- البقية فى حياتك يا (جابر) , شد حيلك و هانت .

ثم دخل هذا الشخص ليجلس بينما نظر الحاج (جابر) عليه وهو يعطى ظهره له ويظهر على وجهه التساؤل بينما أحد أقارب (جابر) الواقف بجانب الحاج فى صف تلقى العزاء سأل وعلى وجهه الدهشة :

- مين ده يا حاج ؟ , ده حتى محترمش إنك راجل كبير وقالك (جابر) علطول كده , أخش أطلعه برة ؟

ليهز (جابر) رأسه بالرفض وهو يقول :

- لا لا يا (ابراهيم) , هو أكيد ميقصدش .

قال هذه العبارة وهو لازال ينظر له بينما يجلس الرجل فى هدوء وينظر للأرض .

كان يرتدى الرجل جاكيت أسود وقميص أبيض وبنطال أسود ولديه لحية كثيفة وكان يعرج على قدمه اليمنى , من مظهره لابد أن تدخل الريبة داخلك ولكن (جابر) تركه يجلس وأكمل تلقى العزاء .

....

بعد ساعتين ..

الساعة (10 مساءًا)

- أنا همشى يا (ابراهيم) هروَح البيت عشان تعبت , خلى بالك من الدنيا هنا .

قال (جابر) العبارة السابقة وهو يخرج من الصوان بينما يرد (ابراهيم) عليه :

- متقلقش يا حاج , أجى أوصلك ؟
- لا يا حبيبي , كتر خيرك , تصبح على خير .
- وانت من اهله .

وصل (جابر) لبيته وأخرج المفتاح من جيبه وفتح الباب وهو يسمي الله ثم دخل وأغلق الباب بهدوء وراءه ثم وضع يده على القابس حتى يشعل الأضواء ولكن الأضواء لا تعمل , ظل يضغط على القابس ولكنه لا زال لا يعمل , أخرج هاتفه وأضاء كشافه ثم إتجه للمطبخ ليحضر بعض الشمع والكبريت حتى يرى ما هى مشكلة الأضواء هذه لأن كشافه يضيئ بالكاد وهاتفه إقترب من أن تفرغ بطاريته .

أحضر الشمع وهو الكبريت ثم أمسك بشمعه وأشعلها ولكنه فوجئ برؤيته لوجه شخص وراءه فى المرآة ينظر له لتسقط الشمعة منه ويعود الظلام مرة أخرى وهو يسمع صوت هاتفه الذى ينبهه بإقتراب شحن بطاريته من الإنتهاء , تحسس (جابر) الأرض ليجد الشمعة ثم أمسكها وهو يرتجف ويشعلها مرة أخرى ليرى من هذا الرجل , أشعل الشمعه ولكن الرجل الذى رآه كان إختفى فهدأ بال (جابر) قليلًا ولكنه سرعان ما سمع صوت أجش يأتى من يساره ليلقي بضوء الشمعة ناحية اليسار ليجد رجل يجلس على إحدى الكراسى يرتدى جاكيت أسود وقميص أبيض وبنطال أسود ولديه لحية كثيفة , عرف (جابر) أن هذا الرجل هو من أتاه للعزاء وأثار ريبته , نظر الرجل لـ(جابر) وهو يبتسم ويقول :

- تعالى يا (جابر) أقعد , تعالى .

تحرك (جابر) بخطوات بطيئة ليجلس على الأريكة بجانب الكرسي الذى يجلس عليها هذا

الرجل , جلس وهو يمسك الشمعة ويداه ترتجف بينما يلاحظ الرجل الأخر وهو يبتسم ويقول:

- مالك خايف ليه ؟ , إنت عامل مصيبة ولا ايه؟

رد (جابر) بصوت خائف ومرتجف :

- إنت مين ؟ , إزاى عرفت تدخل هنا ؟

رد الرجل عليه وهو لازال يبتسم :

- زي ما دخلت عند اللى قبلك , انا مين ؟ , شيل كده الدقن ديه من عليا وركز وهتعرف أنا مين .

قرب (جابر) وجهه وهو يضيق عيناه ويركز بشده ليُصدَم بعدها وهو يقول :

- أستاذ (حامد) المحامى !

هذه المرة ضحك الرجل ضحكة عالية ثم رد وهو يهدئ من ضحكته :

- صح , صح يا (جابر) , أنا (حامد) .

صمت للحظة ثم أكمل :

- (حامد) اللى خلاك تشتغل على هدم بيت عشان تكتشف حاجات كتير فيه , الصندوق والجثتين , أظنك عارفهم مش صح ؟ .

ظهرت الدهشة على وجه (جابر) وهو يقول :

- هو إنت كنت عارف إن في صندوق وجثتين يا استاذ (حامد) !
- أنا اللى حاططهم فى الأماكن دى , الصندوق والجثتين أنا اللى قتلتهم ودفنتهم .

إتسعت عين (جابر) وهو يسمع هذه الكلمات وهو لا يصدق , أكمل بعدها (حامد) وهو يضحك :

- غبى , كنت عارف إن انت لسة غبى زى ما كنت زمان بشوفك .

- زى ما كنت زمان بتشوفنى ؟ , أستاذ (حامد) أنا مقابلتش حضرتك غير من 3 سنين !!

نهض (حامد) وهو يمشى بخطوات بطيئة وهو يكمل :

- طيب ولو قولتلك إنى قابلتك من 25 سنة ؟

نزلت هذه العبارة كالصاعقة بينما يعيد (حامد) ظهره للخلف بخوف و(حامد) يضحك على رد فعل (جابر) ويكمل :

- أيوة أيوة متتصدمش , إحنا إتقابلنا من 25 سنة فعلًا وبعدها إتقابلنا تانى بعد 13 سنة .

(جابر) لازال لا يستطيع إخراج أى كلمة من فمه من الصدمة والخوف ولازال (حامد) يمشى

بخطوات بطيئة حول الأريكة التى يجلس عليها (جابر) وهو يكمل حديثه :

- كنت هتغدر من 25 سنة وفشلت , بس بعدها بـ13 سنة نجحت , كنت رايح تقتل ستات وأطفال ومن سوء حظك إنك خدت واجبك وزيادة من أصحاب البيت وهربت إنت ورجالتك , بعدها بـ13 سنة عرفت تنتقم صح وفكيت عيلة كاملة بس برضو أصحاب البيت عملوا الواجب معاك ورجعت تهرب تانى , أكمل ولا خلاص عرفت أنا مين يا (جابر) !

هذه المرة إتسعت عين (جابر) بشدة بعدما قال (حامد) هذا الكلام , أخيرًا أخرج كلمة من فمه وهو يقول :

- إنت عرفت الكلام ده منين ؟ , عرفت الحاجات دي كلها منين !

عاد (حامد) ليضحك وهو يقول :

- مش بقولك غبى من وأنا بشوفك من زمان؟

صمت ثم أكمل :

- فكر يا (جابر) مين من الأطفال اللى من 25 سنة فلتت من المدبحة اللى حصلت فى بيت (المعصرة) ؟ , مين اللى هجمت على بيته بعد 13 سنة وضربت رصاص على رجله كمان عشان بس تاخد الصندوق ؟ , الصندوق اللى عمرك ما هتقدر تاخده ولا حتى تيجي ناحيته .

ذهب (حامد) تجاه إحدى القوابس التى تتحكم فى الأضواء ثم رفعها لتضيئ الأضواء أخيرًا بينما (جابر) ينظر بتمعن لـ(حامد) الذى أدخل يده فى جيبه ليخرج سكين غريب الشكل ويمسكه ويكمل كلامه :

- إنت عارف يا (جابر) مين اللى قتل إبنك ؟

أشار (حامد) بيده على نفسه وهو يقول :

- أنا , أنا اللى دبحت إبنك بالسكينة اللى ماسكها دى , أنا اللى الأخبار كانت بتقول عليه سفاح إسكندرية , (حامد) سفاح الإسكندرية , عارفنى ؟

نظر (جابر) بغضب بعدما قال هذه العبارة ونهض وأمسك الشمعة وهو يجرى بسرعة ليضربه بها ولكن (حامد) كان أسرع وأمسكه بطريقة بارعة وهو يقول :

- عايز تقتلنى يا (جابر) ؟ , مكانش مكفيك اللى قتلتهم من عندى ؟

أخرج (حامد) حبل طويل من جيبه وهو يمشى ممسكًا بـ(جابر) ويرميه على الكرسى ويربطه بإحكام شديد ثم يجلس على الكرسى وهو يقول :

- ها عرفتنى أنا مين يا (جابر) ؟ ركز .

تكلم (جابر) ووجهه عليه الغضب وهو يقول :

- أنا لما قومت أضربك بالشمعة مقومتش عشان عارفك إنك (حامد) السفاح المشهور , قومت عشان عرفت إنك (حامد) كلب من كلاب (الجَمَّال).

صفق له وهو يبتسم ويقول :

- هايل يا (جابر) قربت , أربط الأحداث ببعض بقي .

نظر (جابر) بتمعن مرة أخرى وهو يقول بغضب :

- (حامد) ! إبن (سعيد الجَمَّال) !

هذه المرة صفق بشده له وهو يقول :

- ياه يا (جابر) أول مرة تبقي ذكى .

صمت قليلًا ثم أكمل :

- أيوة (حامد) , (حامد) اللى إنت دمرتله حياته وهو صغير , (حامد) اللى أخدت حياته وهو حى عشان الفلوس , كنت عايز

تغدر بعيلتى وكنتوا عارفين مكانهم وروحتوا وراهم وكنتوا جاهزين تدخلوا تقتلوهم واحد واحد بس أصحاب البيت ردوا عليكم , هربت زي الكلب الجبان ومكنتش مكتفى بكده , لا بعد 13 سنة بتتفق إنت وباقى الكلاب (حسان) و (بكرى) على أبويا , خلتوه أعمى زيكم , قتل (سلوى) أختى وخنقها , هرب بعدها زيكم زي الجبان .

صمت قليلًا وهو يتكلم بغضب :

- حتى أخويا (سالم) بسببك أنا مش عارف هو فين لحد دلوقتى , هجمت على البيت وضربت رصاص لدرجة إن رصاصة جات فى رجلى وقعتنى , كل ده عشان تاخد الصندوق وفى الأخر ؟ فاشل زى ما انت معرفتش تاخده ورجالتك إتقتلوا وهربت إنت والكلبين التانيين .

أخرج (حامد) من جيبه سيجارة وأشعلها وهو يأخذ نفسًا عميقًا منها ثم أكمل كلامه :

- إنت عارف إن الصندوق ده كان موجود فى بيت (المعصرة) يا (جابر) ؟ , متعرفش ؟ , الصندوق ده موجود من زمان فى البيت ده وكان مدفون , جدى الله يرحمه لما إشترى البيت ده كان غبى زيك كده , إشتراه عشان سمع إن فى دهب وتماثيل كتير مدفونه تحته , واللى خلاه يقتنع لما إكتشف الصندوق ده , صمم بعدها إنه هيكمل ويشتريه , غلبان , مكانش يعرف إن الصندوق ده ملعون , البيت ذات نفسه ملعون يا (جابر) وده أنا شوفته وإلا كنت إزاى دلوقتى قاعد قدامك ومش مع اللى ماتوا ! .

أخذ نفسًا آخر من السيجارة ثم أكمل :

- من سنة رجعت على البلد هناك عشان أستخبى من الشرطة وسألت على البيت ده ناس كتير , كلهم قالوا إن البيت ده ملعون , كل اللى بيدخل البيت ده يا بيموت يا إما بيفلت من الموت بس بيتلعن لعنة أصعب من الموت , أنا فلت من الموت يا (جابر) وعشان كده إتلعنت للأبد , إتلعنت إنى لو متقتلتش يبقي لازم أقتل .

نهض وهو لازال يأخذ أنفاسًا من السيجارة وهو يكمل :

- الصندوق عمرك ما كنت هتعرف تلمسه عشان كنت هتموت يا إما هتتلعن , أبويا أهو أكبر مثال , حط الصندوق عنده وحصل إيه ؟ , قتل خالى (سعد) , قتل (سلوى) أختى , إتمسك بعد كام يوم وهو بيحاول يهرب الصندوق ده واخد إعدام فى الأخر . شايف ؟ , فى النهاية مات برضو

زي ما انت هتموت برضو يا (جابر) , زى ما أنا أكيد فى الآخر هموت , إنت عارف إن الجثتين اللى عمالك لقيوهم دول جثتين مين ؟ .

نظر له وهو يبتسم ويقول :

- (حسان) و (بكرى) .

قالها ثم ضحك وهو يسحب آخر نفس من السيجارة ويكمل :

- حاسبتهم , واحد خد رصاصة فى دماغه , والتانى دبحته بالسكينة اللى ماسكها دي , الإتنين لو كنت تشوفهم يا (جابر) وهما بيبيعوا بعض وبيلبسوا التهمة لبعض كنت إنت ذات نفسك هتقتلهم مكانى .

أخذ أنفاسه وبعدها أكمل :

- و أنا دلوقتى جاى أحاسبك زى عزرائيل , عارف عزرائيل ؟ , أينعم حسابك إتأخر

10 سنين بس أهو جيه وقتك أخيرًا , جيت عشان أخليك تحصل إبنك وتروح وراه , هحاسبك على إنك قاتل ده غير إنك مهرب أثار , و تاجر مخدرات .

بدأ (جابر) يحاول التملص من الحبال والهرب ونجح فى فك إحدى يداه و(حامد) غير منتبه معطيًا له ظهره ثم نهض فجأة سريعًا وضرب (حامد) بإحدى المزهريات التى كانت بجانب (جابر) ثم كسرها على رأس (حامد) التى سال منها الدم بينما نهض (جابر) سريعًا ناحية الباب ولكن سرعان ما أطلق (حامد) طلقة نارية سريعة إستقرت فى مؤخرة رأس (جابر) الذى سقط أرضًا يسيل منه بحرًا من الدماء , بينما أمسك (حامد) بمنشفة حتى يوقف النزيف الذى يخرج من رأسه ثم إتجه للباب وخرج قبل أن يقف و يعود مرة أخرى ويدخل وهو ينظر ل(جابر) ثم أخرج سكينه وعدل جسد (جابر) ليصبح ملقيًا على ظهره ثم

نحر عنق (جابر) بالسكين وبصق عليه وخرج سريعًا هربًا .

****

2017 م ..

مديرية أمن الإسكندرية

- رجع تانى يا (طارق) , جرايمه بتزيد أكتر .

قال (زياد) هذه العبارة وهو ينظر لإحدى الأوراق أمامه ويكمل :

- قتل تلاته فى أقل من شهرين , منهم إتنين فى يومين ورا بعض , قتل الحاج (جابر) الراجل اللى كنت بعتبره زى أبويا .

صمت قليلًا ثم عاد للحديث وهو يقول :

- الغريب يا (طارق) إن فيه رقم غريب باعتلى صور لمستندات بتقول إن الحاج (جابر) ده إسمه (جابر سعد الصياد) وإنه

كان هربان من الشرطة من جرايم قتل و تهريب أثار ومخدرات , مش قادر أصدق الصراحة بس بعد ما كلمت ناس أعرفهم أكدوا ليا إن الكلام ده مظبوط , الحاج (جابر) كان مجرم و(حامد) قتله .

أخذ رشفة من كوب القهوة أمامه ثم أعاده مرة أخرى وهو يكمل:

- أول مرة فى حياتى أواجه قضية زى قضية (حامد على) ده , أنا عم...

قاطع كلامه رسالة وصلته على هاتفه , أمسك (زياد) الهاتف وهو يفتحه ليجد رقمًا غريبًا يبعث له برسالة تقول :

" مساء الخير يا (زياد) باشا , أنا (حامد على) , إختصارًا عشان متقعدش تدور عليا , أنا عايزك إنهاردة قدامى الساعة (8 بليل) فى مخزن الأنابيب المهجور على أول البلد (لوحدك) , نصيحة منى , لو حسيت او عرفت إن فى قوات محاوطة المكان ,

أبوك وأمك مش هيعيشوا لبكرة , أرجو إن رسالتى تكون وصلت . سلام"

إتسعت عين (زياد) بعد رؤيته لهذه الرسالة بينما (طارق) ينظر له بتعجب ويسأله :

- ايه حصل ؟ , يابنى في ايه ؟

أخذ (طارق) الهاتف من (زياد) ثم قرأ الرسالة المرسلة من (حامد على) وهو يكاد ينفجر غضبًا وهو يقول :

- هو فاكر نفسه إيه ؟ , ده بيهدد ظابط !

رد (زياد) وهو يضع يده على رأسه ويقول بصوت منخفض :

- (حامد على) مبقاش باكي على حاجه بعد ما إبنه مات , باع الدنيا خلاص , هيحصلوا ايه أكتر من كده وحش حتى لو إتمسك يا (طارق) ؟ .

- لازم نوقفه عند حده , أنا هأمر القوات تتحرك للمكان ده .

صاح (زياد) فى (طارق) بصوتٍ عالى :

- إنت مبتفهمش , بقولك بيهددنا أنه هيقتل أبونا وأمنا لو حس او عرف إن فيه قوات , لازم أروحله لوحدى .
- مش هسيبك لوحدك يا (زياد) , إحنا سيبنا بعض كتير وكفاية كده , أنا مش هسيبك لوحدك تروح ويعمل فيك حاجه .

قال (طارق) هذه العبارة وهو يمسك بكتف (زياد) بينما إبتسم له (زياد) ثم إحتضنه .

أكمل (طارق) كلامه :

- هكلف النقيب (مينا) إنه يبقي قائد المجموعه و متقلقش مش هيحس ولا هيعرف إن القوات موجودة , أنا وإنت

هنروح بعربيتى والقوات هتتحرك بعدنا بربع ساعة.

جلس (زياد) وهو يلتقط أنفاسه ويفكر بينما (طارق) يخرج من الغرفة ويغلق الباب وراءه .

****

الساعة (7 ونصف مساءًا) ..

- مقولتليش صورة مين دي اللى دايمًا فى محفظتك يا (طارق) .

قال (زياد) هذه العبارة وهو يمسك بمحفظة (طارق) بينما يجلس (طارق) بجانبه يقود السيارة وهو يرد :

- دي صورة أختى , إتوفت من 14 سنة .

ثم أخذ المحفظة بسرعة من (زياد) وهو يكمل :

- مبحبش أتكلم فى الموضوع ده كتير .

صمت قليلًا ثم أكمل وهو يشير بيده ناحية مكانً ما :

- ده مخزن الأنابيب اللى قالك عليه , إنت كويس ؟

رد (زياد) وهو يأخذ أنفاسه جيدًا :

- انا هبقي كويس متقلقش عليا , خليك جاهز بس عشان ممكن يتعامل بالرصاص فى أى لحظة .

أومأ (طارق) رأسه متفهمًا ما قاله (زياد) .

****

- أهلًا أهلاً (زياد) باشا , ليك واحشة , لينا سنتين متقابلناش , من أخر مرة , فاكر ؟

قال (حامد) هذه العبارة وهو يجلس واضعًا قدمًا فوق الأخرى مستقبلًا (زياد) بينما رد عليه (طارق) من الخلف فجأه وهو يقول :

- إتعدل وإنت بتكلمنا .

رد (حامد) ضاحكًا :

- أهلاً أهلًا (طارق) بيه , أخيرًا اتقابلنا , معلش يوم العملية بتاعتكم إنت متقابلتش معايا زي (زياد) باشا , بس أهو أدينا إتقابلنا .

نظر (طارق) بتمعن وهو يدقق فى شكل (حامد) وهو يقول :

- هو إحنا إتقابلنا قبل كده ؟ , شكلك مش غريب عليا ؟ .

إبتسم (حامد) ثم تحدث وقال :

- كمان شوية هتعرف أنا مين يا (طارق) بيه .

قال هذه العبارة ثم حول أنظاره تجاه (زياد) وهو يوجه كلامه إليه وهو يقول بنبرة هادئة ممتلئة بالغضب :

- إيه ذنب إبنى ؟ , عمل ايه عشان يستحق إنه يموت كده ! .

رد (طارق) بنبرة غضب شديدة وهو يدافع عن شقيقه :

- إبنك هو اللى رمى نفسه قدام النار , (زياد) كان هيضرب عليك إنت النار وإتفاجئ لما لقى إبنك هو اللى جرى وأخد الرصاصة بدل منك .

ضحك (حامد) مرة أخرى وهو يرد ناظرًا لـ(زياد) :

- إثبت ليا إن الرصاصة كانت طايشة وغلط .

بدأ (زياد) يعود بضع خطوات للخلف بينما وجَه (حامد) أنظاره لـ(طارق) وهو يتحدث إليه :

- كنت عارف إنى هقابلك بعد المدة دي كلها , كنت عارف إنك حى .

نظر (طارق) له نظرات كلها حذر وتعجب وهو يقول :

- إنت تعرفنى ؟ , أنا أعرفك طيب ؟

قال (طارق) هذه العبارة وهو يدقق نظره فى (حامد) بينما (حامد) يبتسم وهو يقول :

- طبعًا أعرفك , إنت كنت أخويا قبل ما تبقى أخوه . يا (سالم) .

إتسعت عين (طارق) عندما سمع هذا الاسم وفتح فمه من الصدمة وهو يقول :

- (حامد) !

إبتسم (حامد) وأومأ رأسه وهو يقول :

- وحشتنى يابن أبويا .

عاد (طارق) بضع خطوات للخلف وهو يقول :

- إنت كداب يالا , (حامد) مات من زمان .
- مش مضطر أكدب عليك يا (سالم) , أنا (حامد) , تحب أثبتلك ؟ , حادثة بيت (المعصرة) من 25 سنة , أخر مرة شوفتك لما (جابر) هجم على البيت , (سعيد الجَمَّال) أبونا , (سميحة الطحان) أمنا , (سلوى) , فاكر (سلوى) ؟ , اللى خنقها أبوك عشان الصندوق لما لقيه فى الدولاب بتاعها .

صمت (حامد) قليلًا ثم أكمل :

- أقولك على سر ؟ , إنت عارف إن (سلوى) محطتش الصندوق ده فى دولابها ؟ , عارف مين اللى حط الصندوق ده فى دولابها ؟ .

سكت قليلًا وهو يشعل سيجارة ويأخذ نفسًا عميقًا منها وبعدها أكمل :

- أنا .

ظهرت الصدمة على وجه (طارق) بينما يكمل (حامد) :

- أيوة متستغربش , أنا اللى حطيت الصندوق ده فى دولاب (سلوى) , يوم ما أبوك كان بيدور على المفتاح الضايع بتاع أوضة الضيوف وخرج بعدها برة , لقيت المفتاح على الأرض جنب سريرى , معرفش مين حطه ؟ , معرفش شكيت ليه ولو للحظه فى (سلوى) , حسيت إنها عايزة تُغدر بيا , فمسكت المفتاح وهى نايمة وإنت برة كنت بتلعب مع أصحابك , فتحت الأوضة وكنت حاسس بإحساس صعب لما دخلتها , فتحت الدولاب وجيبت الصندوق منه وطلعت برة الأوضة وفتحت أوضة (سلوى) براحه وهى نايمة وحطيت الصندوق ده جوة دولابها وقفلته وطلعت بهدوء , رغم كده

, حسيت إنى مكنتش أنا اللى عملت كده , حسيت بحاجه غريبة مضلمة جدًا جوايا بتحركنى أعمل كده , فى لحظة حسيت إنى مكنتش أنا اللى بتحرك وبنفذ , كنت عايش فى حاجة بين الواقع والخيال اللى مبيتصدقش .

سكت ولازال (طارق) و (زياد) يستمعون إليه بينما هو يسحب نفسًا آخر من السيجارة و يكمل :

- يوم المدبحة , فاكر ؟ , فاكر لما طلعنا الدور التانى ولقينا صندوق بيطلع نور أبيض غريب , فاكر ؟ , فاكر الإحساس اللى حسيناه بيدخل جوايا و جواك و جوة (هدى) , إنت فوقت ساعتها عشان كنت بتحارب من جواك إنه ميسيطرش عليك , لكن أنا و (هدى) مقدرناش وإستسلمنا ومقومناش بعد كده غير لما ضرب النار إشتغل , حسيت ساعتها زى ما تكون روحى بتطلع منى , حاجه غريبة

طلعت من جوايا , حاجه غريبة مش كده ؟ , رغم كدة إكتشفت إن الضلمة اللى جوايا دي لسة موجودة , يوم ما أبوك قتل (سلوى) وانا وقعت على الأرض حسيت بالضلمة اللى جوايا , حسيت بنفس إحساس اليوم اللى حصلت فيه المدبحة .

رد (طارق) بنبرة غاضبة وهو يقول :

- إنت السبب , إنت اللى خليتنى أنا و (هدى) نروح وراك , إنت اللى قولتلنا إن فيه صوت جاى من فوق.

رد (حامد) وهو يأخذ آخر نفس من السيجارة ويكمل بعدما ألقى بها فى الأرض :

- وإتعاقبت , إتلعنت للأبد , البيت ده اللى بيدخله يا (سالم) يا بيتقتل بطريقة بشعة يا إما بيفلت من الموت لكنه بيتلعن للأبد , بيقتل ودى طريقة أبشع .

أنا فلت من الموت وياريتنى ما فلت , سكن جوايا سواد خلانى عايز أقتل علطول بدون شبع , كإنى كل ما اقتل بجوع إنى أقتل أكتر , وملقيتش غير كلاب (الصياد) اللى أوزع لعنتى عليهم وأحاسبهم , (مروة) , (شهاب) , (جابر) و (مروان) , كل دول كانوا من كلاب (الصياد) , حتى (حسان) و (بكرى) قتلتهم عشان خانوا أبوك وخلوه يتعمى ويقتل (سلوى) .

أخرج (طارق) مسدسه ووجهه فى وجه (حامد) الذى وقف ثابتًا مبتسمًا لا يظهر عليه الخوف بينما يصيح (طارق) بصوت عالٍ :

- إنت اللى قتلت (سلوى) مش أبوك , إنت السبب , إنت اللى حطيت الصندوق ده فى أوضتها عشان كنت عارف إن (سعيد الجَمّال) هيقتل اللى هيكتشف الصندوق أو المفتاح ده معاه .

ضحك (حامد) وهو لازال ثابتًا وقال :

- حالًا بقى (سعيد الجَمَّال) ؟ , خلاص الناس ديه نسوك مين أهلك ؟

رد (طارق) وهو لازال يوجه مسدسه ناحية (حامد) وهو يقول :

- الناس دي ربتنى أحسن تربية , أخدونى من الشارع وخلونى جزء منهم , بقى عندى أخ بجد زى (زياد) مش زيك مجنون ومختل , أنا بستعر من إنى كنت من العيلة دي فى يوم من الأيام , مفيش غير أمى و(سلوى) اللى ممكن أكون مفتقدهم غير كده أنا نسيت ومحيت عيلة (الجَمَّال) دى من دماغى , أنا دلوقتى مبقاش إسمى (سالم) , إسمى (طارق الأسيوطى)

إبتسم (حامد) وهو يضع يده خلف ظهره ليخرج شيئًا ما من جيبه وهو يقول :

- إنت ملعون زيك زيي يا (سالم) , اللعنه , إنت قاومتها بس هتفضل مطارداك للأبد , التعاسة هتروح ليك إنت يا (سالم) , السواد اللى جوايا هيخرج ويسكن جواك , إحنا ملعونين من يوم ما دخلنا البيت ده .

كان (حامد) يتكلم بهدوء وهو يحرك يداه للخلف و يستعد ليمسك شيئًا ما يضعه وراء ظهره بينما (طارق) لا يلاحظ حركة يد (حامد) , فى هذه اللحظة لاحظ (زياد) أن (حامد) يستعد لإخراج مسدسه من خلف ظهره ليُخرج سريعًا مسدسه ليطلق النار عليه ولكن (حامد) كان أسرع منه وأخرج مسدسه ووجهه تجاه (زياد) وأطلق منه رصاصة سريعة إستقرت فى صدر (زياد) بينما كان رد فعل (طارق) سريعًا جدًا حيث أطلق طلقَّة سريعة إستقرت فى رأس (حامد) الذي سقط أرضًا وبدأت تسيل منه الدماء .

هرع (طارق) ناحية (زياد) وهو يمسك به و يحاول إيقاظه ويقول:

- (زياد) ؟ , (زياد) ؟ , خليك معايا , خلى عينك مفتوحة , متغمضش عينك , خليك معايا .

رد (زياد) عليه بإبتسامه وصوته يخرج بصعوبة :

- متزعلش منى , أنا غلطت فى حقك كتير يا (طارق) وسيبتك كتير, سامحنى ومتزعلش منى .

بدأت الدموع تسيل من عين (طارق) وهو يمسك بـ(زياد) ويقول له :

- مسامحك , بس إنت لو سيبتنى انا مش هسامحك , خليك معايا أرجوك , الإسعاف فى الطريق والقوات كمان .

إبتسم (زياد) بضعة ثوانٍ وهو ينظر لـ(طارق) بعدها توقف عن الحركة تمامًا , لينظر (طارق) له بصدمة وهو لا يصدق ويهزه بعنف ويقول :

- (زياد) ؟ , (زياد) ؟ , قوم يا (زياد) متسيبنيش لوحدى تانى , (زياد) !

بدأ (طارق) فى البكاء وهو يحتضن (زياد) ويحاول أن يوقظه ولكن بلا جدوى .

وصلت سيارة الإسعاف والقوات وهى تحيط بالمكان سريعًا , (زياد) كان قد ابتسم ابتسامة أخيرة وكأنه إتطمئن على (طارق) ثم رحل عن العالم .

****

(خبر من إحدى القنوات التليفزيونية)

" نجحت القوات فى إسقاط أخطر مجرمين الأسكندرية المشهور بسفاح الأسكندرية (حامد على) بعد قتله برصاصة أصابت رأسه مباشرَة , مما أسفر فى هذه العملية عن إستشهاد المقدم (زياد الأسيوطى) بعدما أصيب بطلقة مباشرة فى الصدر أدت إلى مصرعه . "

****

بعد 4 سنوات ..

2021 م - القاهرة

هرشت فى شعرها الأسود اللامع وهى تفكر كيف ستأتى بمبتغاها , ولكن دعنا نتعرف عليها أولًا , (حورية محمد المستكاوى) فتاة تبلغ من العمر ثلاثة وعشرون عامًا متخرِجة هذا العام من كلية أداب قسم إعلام , كانت تعمل محررة صحفية فى بعض الجرائد والصحف , عملت كمحررة كذلك فى إحدى القنوات ولكن لم تكن قد حققت مبتغاها بعد , (حورية) مهتمة بشدة بعالم ما وراء الطبيعة والأشباح والخوارق, حيث جميع الأماكن التى عملت بها لم يفيدوها إطلاقًا فى ما كانت تبتغيه , جلست على مكتبها أمام الكومبيوتر الحاسوب الخاص بها وهى تبحث عن أى حكايات تتكلم عن الخوارق , فتحت محرك البحث "

جوجل " وكتبت كلمة خوارق وظهر لها مئات الصفحات وكانت صفحات لا تفيدها إطلاقًا منها من يؤلف قصصًا خيالية ومنهم من يروى تجربته عندما دخل بيت مسكون , كانت هناك قصصًا تافهة للغاية , حتى وسعت نطاق البحث قليلًا حتى تذكرت كلمة كانت ترن فى أذنها وهى صغيرة وهى كلمة (المعصرة) , أخذت رشفة من كوب العصير الذى تضعه أمامها وعادت لتكتب كلمة " المعصرة " فظهرت نتائج ليس لها أى علاقة عن ما تريده , عادت لتكتب مرة أخرى " المعصرة .. القناطر " فظهرت لها نتيجة واحدة لمدونة غريبة ضغطت على الصفحة لتدخلها , لم يكن على المدونة إلا تعليق واحد فقط مكتوب فيه كالآتى :

" مساء الخير , أنا زميلكم (محمد نجاح)
ومبسوط جدًا إنى إنضميت لأسرة المدونة
ومبسوط بحكايات العفاريت والأشباح والخوارق
اللى بتكتبوها . حكايتى بالظبط إنى أنا ساكن فى
منطقة اسمها (السالمية) جنب طريق اسمه (

طريق العفاريت) , إسمه كده عشان قدامه بيت قديم إسمه بيت (المعصرة) وحكاية البيت ده إن كان فيه عيلتين بينهم مشاكل فى قرية قريبة اسمها (الهاشمية) بين عيلة (الصياد) و عيلة (الجَمَّال) , فى يوم من الأيام خرجت رجالة من عيلة (الجَمَّال) وراحوا لمحل إبن كبير عيلة (الصياد) وقتلوه , بعد كده الحاج (سعد الصياد) كبير عيلة (الصياد) أمر رجالته فى نفس الليله إنهم يقتلوا كل حد ليه صلة بعيلة (الجَمَّال) وفعلًا رجالة (الصياد) كانوا عاملين مدبحة فى بيوت عيلة (الجَمَّال) ولما سمع الحاج (جعفر الجَمّال) إن رجالة (الصياد) بيقتلوا أى حد ليه علاقة بالعيلة , لم فلوسه كلها و خد ستات العيلة وأطفالهم وطلع بيهم برة البلد , بيقولوا إن حد من عيلة (الصياد) طلع وراهم بس الحاج (جعفر) قدر يعطله , ولما حس إن رجالة (الصياد) عرفوا طريقه , ركن فى الليل جنب بيت هو مشتريه من فترة قبل شبرا بكام كيلو وجنب البيت ده أرض زراعية , ونزل الستات والأطفال

وخباهم فى البيت ده , بيقولوا إن رجالة (الصياد) عرفوا إن الستات والأطفال مستخبيين فى البيت ده وفعلًا طلعوا كام راجل جنب البيت وإستنوا لحد الفجر وطلعوا دبحوا فى الكل , اللى اخدله رصاصة فى دماغه واللى أخدله دفعة رشاش فى جسمه واللى إتدبح بالسكينة ومسابوش حد حى وخرجوا ورجعوا البلد والناس بتقول إن الحاج (جعفر) لما رجع تانى يوم عشان ياخد الستات والأطفال لقى المنظر ده قدامه فإتجن وكان معاه بندقية آلى , نزل من البيت وكان بيضرب أى حد قدامه بالرصاص , ستات معدية الشارع , عربيات , رجالة ماشيين فى حالهم , كل ما يقابل حد ماشى يقولهم وهو بيصرخ :

- قتلتوهم ليه !

لغاية ما البلاغات كترت عليه وإختفى , الناس بتقول إنه مستخبى جوا قرية (الهاشمية) من الشرطة لحد يعنى ما إتقبض على رجالة كتير من عيلة (الصياد) .

لكن الغريب إن رجالة (الصياد) بتنكر إنها قتلت الستات والأطفال اللى فى البيت دول , برغم إنهم إعترفوا إنهم قتلوا ستات كتير قبل كده لكنهم أنكروا إنهم عملوا كده فى اللى كانوا فى البيت , ده كمان بيقولوا إنهم يدوبك وصلوا عند البيت ولقيوا ضرب نار شديد جاى عليهم من الدور التانى , لدرجة إن فيه رجالة كتير وقعت وإنسحبوا بسرعة , وفى اليوم اللى بعده إكتشفوا إن الستات والأطفال كانوا مقتولين فى شقة الدور الأرضى وإن مفيش أى سلاح لقيوه فى الدور التانى , وكانت علامات إستفهام كتير على إللى قالوه رجالة (الصياد) واللى إكتشفوه بعدين فى البيت ده , والطريق اسمه (طريق جهنم) لإن أى حد بيدخل البيت ده بيختفى فى ظروف غامضة و بيلاقوه ميت بعدها بكام يوم على الطريق , كان كل اللى بيموتوا ما بين قطاع طرق وحرامية وتجار مخدرات وأثار لإن كان في كلام بيتقال إن الحاج (جعفر) كان واخد ملايين معاه لما هرب وحطهم فى البيت ده عشان كده

الطمع كان بيعمى الناس وبيخشوا عشان يجيبوا الفلوس لكنهم مش بيلاقوها أساسًا , فى كلام برضو إتقال إن الستات خبوا شنطة الفلوس كويس فى حتة محدش يعرف يكتشفها , ومن ساعتها كل فترة بنسمع إن فيه حد لقيوه ميت على الطريق ده قدام البيت ده , عشان كده سموه (طريق العفاريت) والبيت اسمه بيت (المعصرة) , البيت ده انا بعدى عليه كل يوم وأنا رايح وأنا جاى ونفسي فعلًا أعرف ايه سره .

دعكت (حورية) عينيها وشعرت بتنميل أسفل بطنها من الفرحه ثم نهضت وأمسكت بمدونتها وقلمها وأضافت كلمة (طريق جهنم) إليها وهى تفكر فى شيئًا ما ستفعله أو تريد أن تفعله بشده .

****

يتبع ..

إلى اللقاء فى الجزء القادم ..

ظلال دموية 2

مكاريوس عطيتو